

جلسية سهران

HELMY MAHRAN

القضية الخامسة

الطبيعية



أحمد عثمان

تأكد من أنك تقرأ هذه الرواية من قناة ضاد الرسمية
على تطبيق تيليجرام:

تم تجهيز هذا الكتاب الإلكتروني
بواسطة:

 **مكتبة ضاد**
t.me/twinkling4

لجميع الكتب، المجانية والمدفوعة،
وكل ما تشتهيهِ قريحتك الثقافية.

#بس_المهم_تفهمني

هلمى مهران
HELMY MAHRAN

القضية الخامسة

التجربة 8

أحمد عثمان



الكتاب: حلمي مهران: التجربة ٨
اسم المؤلف: أحمد عثمان
الغلاف والرسم: مارك إبراهيم
التدقيق اللغوي: محمد فهمي- محمد مجدي الأبار
الطبعة: فبراير 2023

رقم الإيداع: 2023 / 1899
الترقيم الدولي: 978 - 977 - 779 - 585 - 2
الموقع الإلكتروني: www.ibda3eg.com

المدير العام: عيد إبراهيم عبدالله
dreidibrahim@gmail.com

جميع الحقوق محفوظة

للتواصل بخصوص النشر:
info@ibda3eg.com

للتواصل بخصوص المبيعات
00201004022774

وأي اقتباس أو تقليد، أو إعادة طبع، أو
نشر دون موافقة قانونية مكتوبة يعرض
صاحبه للمساءلة القانونية، والآراء
والمادة الواردة وحقوق الملكية الفكرية
بالكتاب خاصة بالمؤلف فقط لا غير.

العنوان: 10 ش هدى شعراوي، وسط البلد، القاهرة

هاتف: 0223909119 - موبايل: 01001631173

البريد الإلكتروني: info@ibda3eg.com



dar_ibda3



ibda3-tp



dar_ibda3

الإهداء

إلى كل صاحب مشروع وتجربة



من أضغاث أحلام في عالم موازٍ داخل خياله المريض تظل تلك الومضات تنتقل بنا بين أرجاء عوالم كثيرة، يجمعهم صوت دقات قلوب مضطربة صادرة عن أجهزة قياس النبض داخل طرقات مستشفى ما، حيث كان الدكتور «صلاح» يقوم بعملية جراحية لهذا القبطان الخمسيني «حاتم» الذي يظن أن هذا الحلم حلمه حيث لا يزال صوت البحر يُلازم أذنه من داخل لا وعي تخترقه سيارة رياضية حمراء فارهة تشق الرياح من أمام طفل صغير يقود دراجته على الطريق قبل أن يصل إلى أذنيه صوت مكابح السيارة ليتوقف صوت نبض «حاتم» المستلقي بين يدي الرحمن من أمام الدكتور «صلاح» الذي بدأ صعقه بجهاز الكهرباء ليمنزج صوت الصعقات مع تلك الأعيرة النارية القادمة من صحراء بعيدة ليسقط ثلاثة من الأبرياء المقيدون داخل هذا المعسكر النجس من أمام هذا العشريني الملتحي «سيف» الذي لا تزال يده ترتعش تلطخها الدماء، التي تشبه الدماء التي تتساقط الآن من وريد «جميلة» بعد محاولتها الانتحار، تظن الرؤيا رؤيتها بينما يسرع طاقم الممرضين بجرها بين ردهات المستشفى ليعاود صوت النبض في الظهور، يرتفع شيئاً فشيئاً متماشياً مع تداخلات ألحان موسيقية عازفة بأشجان الأسي لآلام المرضى وأهاتهم، التي تتراقص عليها الرياضية «فرح» من داخل صالة النادي، قبل أن تقوم بتلك الحركة الطائشة، حالما ظهرت أختها «مي» مذعورة تصرخ قبل أن تسقط «فرح» على قدمها متألمة من الإصابة وجسمها المرن يرتعش جراء الارتطام الشنيع، لترقد هي الآن في جبيرتها داخل طوارئ المستشفى وما فتئت ترتعش



من ساعتها لا تفهم حلم من هذا!

بينما من جانبها كانت «منال» لا يزال قلبها المريض ينبض وإن كان في حاجة للتغيير، ليتوقف «عاصي» ابنها العشريني من جانبها نادمًا بينما لا تزال يده ترتعش في حاجة لمخدرها، قبل أن يقع أرضًا محدثًا صوت ارتطام، ليظل يرمق ذلك البالون الطائر الذي يمسكه طفل وحيد حليق الرأس تلاشى الآن من أمام «سميحة» الثلاثينية التي لا تزال تركض داخل ردهات المستشفى، ليرمقها «حبيب» الأربعيني الوسيم قبل أن يعلو صراخ زوجته من داخل غرفة العمليات مغشيًا عليها وهي مستلقية بوضع الولادة، مرتدية ملابس المرضى الزرقاء، بينما يتصاعد صوت دقات قلبها هي الأخرى ولا يزال الأمل ينبعث من بين حنايا الألم، ليصاحب صوت دقات القلب صوت خطى الدكتور الخمسيني النحيف الأسمر «ماهر» من داخل العناية المركزة حتى وصل إلى «حبيب» الذي يميزه خضار عينيه الدامعة الآن وهو يسمع كلمات الدكتور «ماهر» الذي جاء بتقرير الزوجة قائلًا:

- أنا آسف.. الوضع بيسوء!

يخلع «ماهر» نظارته الطبية ليكمل:

- وأنا كجراح محتاجك تاخذ القرار بسرعه.

تدور عينا «حبيب» بأرجاء غرفة العمليات، يبدو فيهما لون الخوف والوجل وهو يلمح زوجته في الداخل التي لا تزال تصارع الموت والممرضون يضعون جهاز السونار على بطنها



المنفوخ لتظهر صورة طفلة على الشاشة، ليتساءل «حبيب»
بصوت حزين كسيف البال:

- يعني مفيش فرصه للجنين خالص؟!!

يظهر التعاطف الكاذب على دكتور «ماهر» الذي يشرح
العلمية:

- الفرصه كبيره، بس زي ما قلت لحضرتك على حساب
الأم.

يظل «حبيب» مترددًا، ثم يردف:

- إشمعنى أنا اللي آخذ القرار ده؟!!

- حضرتك الأب، والقرار قرارك طالما الأم فاقدة الوعي.

يتحرك «حبيب» ناحية باب العمليات:

- وأنا مايهمنيش غير مراتي يا دكتور.

يقولها «حبيب» ليرتدي «ماهر» نظارته، معلقًا:

- طيب أحب أفكرك إن دي هاتبقى آخر فرصة للمدام...!!

يقاطعه «حبيب» من فوره بقوة زائفة:

- أنا عايز مراتي يا دكتور.

يتفهم الدكتور «ماهر» مقدمًا التقرير إلى «حبيب» ليوقعه،
ليتلكًا الأخير للحظة، فيعطيه «ماهر» القلم دافعًا إياه بلطف

في ذراعه يستعجله التوقيع...!!

فيوقّع «حبيب» بيد مرتجفة تظهر ضعفه الحقيقي، قبل أن يخطف الدكتور «ماهر» على عجلِ التقرير ليتراجع إلى الوراء ناحية الباب المؤدي إلى العمليات ليدخل ويغلق الباب من خلفه، مع تصاعد صوت دقات القلب المتزايدة، ليفتح «حبيب» الآن عينه للتو من داخل عيادة الدكتورة النفسية «هدى» الصهباء ليلاحظ أنه لا يزال داخل حلم ما، ولكنه لا يزال يبدو حلم شخص آخر ليقول:

- أنا حاسس إني لسه بحلم يا دكتور، بس ده مش حلمي أنا.

- أومال حلم مين يا «حبيب»؟

- معرفش ومش عايز أعرف، أنا خلاص عايز أنسى كل اللي

حصل.

تبتسم «هدى» موضحة:

- بس اسمحلي أفهمك، أنا مش هاخليك تنسى، بالعكس أنا

هاخليك تعرف الحقيقه وتواجه كل مخاوفك.

- مش مهم.. المهم أعرف أعيش.

- اظمن يا «حبيب»، العلاج الجماعي ده هايغيرك خالص.

يهز «حبيب» رأسه موافقًا ثم يستعد ليغادر قبل أن يلتفت

إليها من عند باب العيادة مبتسمًا ثم ينصرف، فتبتسم «هدى»

هي الأخرى وتعدّل من جلستها طلبًا للراحة، وهي تدون الاسم

الأخير في المجموعة.

أجل إنه هو التقرير الذي تمسك به «هدى» وقد كتبت فيه

اسم «حبيب» في الخانة السابعة، بعد «سيف» و«سميحة» و«عاصي» و«فرح» و«جميلة» و«حاتم»!! قبل أن تغلق الملف الذي يحمل عنوان التجربة 8.....

هذا بينما كان هناك شخص ما خلف شاشة مراقبة، يراقب ما يحدث في عيادتها للتو من بين مجموعة شاشات كثيرة متراسة، تكشف أبعاد تلك الجزيرة الغامضة، إنه بالطبع «المراقب»!!

تنهي «هدى» تقريرها وتتحرك ناحية باب خلفي لها، والقلب ما انفك يضرب، صوته كالماهر والنجم الثاقب، دقائق تحاكي الدقائق والثواني لتدخل معملها الخلفي والذي بات غرفة طبية للتجارب، لتقوم بتركيب دواء ما، بينما من خلفها الحيوانات حبيسة الأقفاس، بعضها على بعض، تتقاذق وتتناقر حيرى عقرى سكرى حلقى، بلغاتها تحوّل وتهلل لرب السماء قد ضاقت ذرعاً، وازوّرت عيناها شاخصة أبصارها وكأنه يوم الحساب إلى ذلك الحيوان البغيض إلى قلوبهم؛ لأجل أنه ألقى عليه المعطف الأبيض وجعل من نفسه راهباً في هذا المعمل ممسكاً بهذه الأدوات الشاذة والأدوية النشاز سمح لنفسه أن يعث بأجسادهم من أقصاها إلى أدناها ومن مدخلها إلى مخرجها؟!

بينما هي تستمتع بهذا المنظر المُحبب إليها، منظر ذلك الدواء المُريب وهو يتحرك أسفل عدسة طبية مكبرة، أجل إنها الكيمياء، حيوية كانت أم عضوية، تفعل في الأجساد فعل السحرة المشعوذين، ولهم أعمال من دون ذلك هم لها

عاملون!! لتضع «هدى» أخيراً سائل الدواء داخل أمبول زجاجي جديد شفاف تُمرّره فتراقبه، تكتب على الأمبول «التجربة 8»، ثم تفتح حقيبة يد معدنية عبارة عن ثلاثة صغيرة، لتضع الأمبول بجانب سبعة أخرى، ليبدأ صوت القلب بالانخفاض تكاد تخبو جذوته، وينطفئ اتقاده!! ليستيقظ الحالم للتو من حلمه، إنه بالطبع «حلمي مهران» الذي تطلع خيال عقله المريض على أضغاث تلك الأحلام الكابوسية، ليظل مفزوعاً يحاول تذكر من زاروه للتو، ولكنه كان يجهل أغلبهم إلا تلك الدكتورة «هدى» الصهباء التي زار عيادتها في القضية الماضية، ليعلم أنه لا مفر من تلك القضية الجديدة التي سترمي به إلى تلك الجزيرة المخيفة التي حاول الهروب منها طوال الأسابيع الماضية، ولكنها كانت قدره، قدرًا لا مفر منه، فلم يكن «حلمي مهران» أبدًا مخيرًا بل مسيرًا، ومن أجل ذلك رُدت إليه الحياة.

(01)

من داخل غرفة عيادة الدكتورة «هدى» كان القبطان الخمسيني «حاتم» يكمل تخوفاته من تجربة الدكتورة «هدى» التي لم تفصح عن نواياها الحقيقية بعد:

- وهو حضرتك جربتي الموضوع ده قبل كده؟

كانت «هدى» طبيبة نفسية ذكية، تختار كل من يصعب تعقبه من مستوحدين، فقد كان هذا مصدر رزقها الذي يجهل حقيقته الجميع، خلف ساتر عملها الناجح، وجمال وجهها، فقد كانت صهباء بملامح أجنبية نظرًا لأنها من أم كندية:

- طبعًا، مش عارفه انت ليه رجعت تخاف، ما كنا متفقين! وصدقني، كل اللي جرب العلاج الجماعي هناك فرق معاه كثير.

يبدو مترددًا، لتحفزه بخبث:

- أنا مش فاهمه إنت متردد ليه! اسمحلي، إنت حاولت الانتحار أكثر من مره، فيها إيه لما تجرب حاجه ممكن تديك أمل؟ إيه اللي مخوفك؟!

- معرفش، يمكن خايف أتعالج!

قالها في تردد وكأنه يخفي شيئًا، فقد كان يمتلك ملامح حادة ومخيفة بعض الشيء، زادت من حدتها لحيته الكثنة، حال شعره المموج، وبالطبع قدمه المبتورة التي استبدلها بطرف صناعي، لتظل «هدى» ترمقه في محاولة لمعرفة سبب ترده

الحقيقي قبل أن يخترق خلوتهما «حلمي مهران» الذي فتح باب الغرفة للتو مندفعًا، لتتفاجأ «هدى» من الداخل، بينما من خلفه يظهر مساعدتها «أشرف» في استياء يقول:

- يا أستاذ «حلمي» ما يصحش كده.

- أنا موافق.

جهر بها «حلمي مهران»، لتلاقي موافقته -نوعًا ما- استحسان الدكتورة «هدى» التي تبتسم عيناها من خلف نظارتها الطبية لتتوجه إلى «أشرف» قائلة:

- مفيش مشكله يا «أشرف»، معلىش يا كابتن «حاتم» تسمحلي آخذ الحالة الطارئة دي؟

يرمق «حاتم» «حلمي مهران» ثم يقف ليعتكز على عكازه ويغادر، بينما يهرب «حلمي مهران» من نظراته منتظرًا مغادرته ليجلس.

- اتفضل يا أستاذ «حلمي» بس تسمحلي أسأل عن سبب التغيير المفاجئ ده!

يتنهد «حلمي مهران» ليقول في تلاعب:

- شوفتك في الحلم.

تبتسم «هدى» وتجيب بثقة:

- دي تبقى رؤيا بقى..

قالتها جاهلة رؤى «حلمي مهران» التي لا يتمنى أي كان أن

يكون ضيفها.

- عمومًا اظمن يا «حلمي»، العلاج الجماعي ده هايغيرك خالص، وزى ما شرحتك المكان اللي هانروحه بعيد عن كل توتر حياتنا. مفيهوش حتى أي وجود للتكنولوجيا، يعني تقدر تعتبر نفسك في أجازة.

يبتسم «حلمي مهران» معلقًا:

- وأنا حقيقي محتاج الأجازة دي.

- بس أحب أفكرك، إن المجموعة اللي أنا مختارها حساسة جدًا، وعشان خصوصيتهم مش لازم أي حد يعرف إحنا هانكون فين، ولا مع مين.

- أنا مليش حد يا دكتورة وانتي عارفة، وبعدين أنا معرفش أصلًا إحنا هانكون فين، ولا مع مين..

بحرفية قالها «حلمي مهران» ليطمئنها فتبتسم هي قائلة:

- يبقى اتفقنا، تقدر تتفضل دلوقتي وأنا هاخلي «أشرف» يشرحك تفاصيل الرحلة كلها، والطريقه اللي هاتوصل بيها بأمان لمكان العلاج، بعييد عن الدنيا كلها.

يحرك «حلمي مهران» رأسه مبدئيًا الموافقة ومن ثم يقوم ليغادر قبل أن يلتف إليها من عند باب العيادة مبتسمًا ثم ينصرف، لتبتسم «هدى» هي الأخرى وتعتدل جلستها في راحة، إذ كانت تدون الاسم الأخير بالمجموعة، إنه اسم «حلمي مهران» بالطبع ولكن بالصيغة التي تعلمها «حلمي عبد

المهيمن» إذ كانت لا تزال تجهل حقيقته، ليستقر اسمه في الخانة الثامنة، بعد «حبيب» و«سيف» و«سميحة» و«عاصي» و«فرح» و«جميلة» و«حاتم»..

قبل أن تطوي الملف الذي يحمل عنوان التجربة 8.....
ليدخل عليها الممرض «أشرف» مستفهماً:

- زبون جديد؟

تومئ هي برأسها قائلة:

- كده التمانيه جهزوا.

- وده فين ملفه؟

تجيبه بسعادة لا تحبسها:

- ملوش ورق كثير، مجرد فاشل مقطوع من شجره وعقدته كانت أبوه، ماتخافش أنا هاعمل اللازم، المهم انت تجهز شغلك.

- «أشرف» دائماً.

قالها «أشرف» ليحضر نفسه حال ثمانيتهم، كل منهم يقوم بما أمرتهم به، فها هو «حلمي مهران» من غرفته والنهار بأوله يحضر حقيبة سفر صغيرة من أمام «حجاب» الساعي الذي يتسم إليه متفهماً النداء، قبل أن يغادر إلى الخارج ممسكاً بحقيبته ليجد «ماجي» متوقفة.

- برضه مش ناوي تقولي رايح على فين؟



- ماتبقاش أجازة يا «ماجى»، ماتخافيش مش هاتأخر.

- طب أوصلك حتى.

- خلىنى على راحتى.

- وانت راحتك فىن بس يا «حلمى»؟!!

كان سؤالها بلاغياً ليبتسم «حلمى مهران» معقّباً بنفس المعنى الباطنى:

- مكان ما النداهة تندهنى.

يقولها فتتصاعد أصوات الطبول فى أذنه تلك الألحان التى يعلمها «حلمى مهران» لتبدأ رؤياه فى حلم جديد من أمامه حاملة له ملفاتهم، فلقد كانوا سبعة وكان هو ثامنهم، فى عرض سريع، تلك الملفات الورقية المتراسة على منضدة خشبية قديمة بجانب صندوق من الكرتون به أجندة حمراء ظلت تغازل خيال «حلمى مهران» الذى شاهدها للتو داخل هذا الكوخ الخشبي، الكائن أمام ممر ساحلي مصفوف بجانبه يخت على الشاطئ.

من داخل اليخت فى هذا النهار المشرق كان «أشرف» هناك يبدأ فى تدويره، لتتوقف الموسيقى ذاتها التى عزفت فى أذنى «حلمى مهران» أنفأ، ليجد نفسه لا يزال خارج مكتبه يسمع نباح كلبه مندهشاً، ليقترّب منه لحظات قبل أن يسمع صوت الدكتور «هدى» فى ذهنه.

«المرا دي هي الأخير، بعدها مش هاتحتاجوا العلاج ولا

حتى الأدوبه، المهم تسمعوا التعليمات كويس»

يبتسم «حلمي مهران» فيترك كلبه، ويغادر مترجلاً في الشارع، ليلحق بسبعتهم الذي كان هو ثامنهم، فها هو «حبيب» الوسيم صاحب العين الزرقاء والشعر البني الناعم يحلق ذقنه في حمام منزله، يبرز في أذنه صوت «هدى» متزامناً مع صوت صنوبر المياه المتدفق في البانيو المهجور من خلفه تنسكب جارية مياهه، ليظل يراقب المشهد في انعكاس المرآة من أمامه حيث كانت زوجته المقتولة بداخل هذا البانيو وقد غمرها الماء تماماً، منبعثة له كما الأشباح من عالم الأرواح، تظهر له انعكاس صورته في المرآة التي يقف أمامها «حبيب» ليعلو صوت «هدى» يُسمع له بالأرجاء صدًى:

«كل واحد منكموا ليه حكاية لازم تسيبوا قصصكم ورا
ضهركم»

يستدير «حبيب» خائفاً ليجد البانيو خالياً، فيصبيه الذعر، مقررًا ترك الحمام مغادراً إلى غرفته حيث حقيبتة على السرير، فيغلقها تاهباً للخروج.. حال «سميحة» التي غادرت غرفتها للتو إلى الردهة آخذةً بحقيبة يدها لتلقي نظرة إلى غرفة طفلها تتأملها، خاصة تلك الصورة الموضوعة له على الحائط معها، وبتردد على مسامعها صوت «هدى» حين قالت:

«مهما كانت قصتك صعبه، هاتلاقي حكاية أصعب منها»

بِقَسَمَاتِهِ تتخالط تعبيرات الوجل والوُجُوم على وجه «سميحة» الذي بدا متحيراً من داخل الغرفة، وحالما كانت

تنصرف مغادرة، عاودها صوت «هدى»:

«دورنا مانصدرش أحكام على بعض»

من أسفل العقار يظهر القبطان «حاتم» وهو يعرج ممسكاً حقيبته بصعوبة، ليضع على رأسه قبعة ستلازمه، قبل أن يخطف ببصره نظرة عابرة لسيارة حمراء مصفوفة وبها أثر حادث، فيشرد لحظة قبل أن يتردد على مسامعه صوت «هدى»:

«لإن إحنا مش مرضى نفسيين»

قاطع صوتها صوت دراجة يقودها أحد المارة وهو يضغط على جرسها، لينتزع «حاتم» من مقودها منزعجاً ومن ثمّ يشير إلى تاكسي..

«إحنا ببساطه بني آدمين»

يصل التاكسي بـ «عاصي» العشريني إلى موقف أتوبيس، ليخرج محفظته ليحاسب السائق الذي رمق وشم يده باستحقار، فقد كان «عاصي» موشماً بصورة امرأة عارية تجسد كامل يده اليسرى، ليترجل «عاصي» من التاكسي متلازماً مع صوت «هدى» التي غدت ملازمة له:

«يمكن بس مرينا بظروف مختلفه عن غيرنا»

يغلق «عاصي» باب التاكسي مصدراً صوت ارتطام، ذكّره بصوت ارتطام رأس أمه الستينية «منال» لينزعج ويتململ، قبل أن يخرج سيجارة مخدرة ليدخنها، فيسمعها تقول وهو

يدخل الأتوبيس:

«ظروف صعب ننساها في مكانًا»

من داخل الأتوبيس كان «سيف» هذا الثلاثيني البسيط ذو اللحية البنية الناعمة يقرأ من مصحفه في شرود، قبل أن يقطع روحانياته صوت «هدى» هو الآخر:

«عشان كده هانبعده عن القاهرة خالص هنرجع للهدوء»

من خارج الأتوبيس والشمس ساقطة للغروب تظهر قدم «فرح» التي برزت من الأتوبيس للتو في حركة استعراضية تتناسب مع عصريتها، فهي عشرينية ثائرة، شعرها قصير كالذكور، تضع حلقة في أنفها، بينما تضع سماعة أذن موسيقاها المفضلة -كالعادة- التي ستلازمها، من جهاز شبيه بالآي بود.

«من غير تليفونات خالص عشان تنسوا كل وجع اتوجعتوه»

تسمعها «فرح» وهي تمسك بميدالية رياضية موضوعة في سلسلة على رقبتها وهي تتحرك إلى الميناء، التي سبقتها إليها «جميلة» تلك الأربعينية المثيرة شقراء الشعر، التي ترتدي من الملابس أقصرها، وإن كانت نظراتها مخيفة، فكلما رمقها رجل استفزته بجمالها، كسرت عينه بقوتها المخيفة وهي تتحرك بحرص في هذا الميناء الذي يعج بالحيوية، والشمس في غروبها قد أذنت للشفق أن يمزج الماء بلون دمائه، وبينما كانت تنظر خلفها كل حين حتى وصلت إلى هذا اليخت حين جاءها صوت «هدى» مجددًا:



«هاتمشوا على التعليمات بالضبط، عشان توصلوا
بالسلامه»

من على متن اليخت هذا كان «أشرف» مبتسمًا إلى «جميلة»
حال غيره، ماذًا يده إليها لترفض بوضوح أربهه ليعود خطوة
إلى الوراء، وتدخل هي بنفسها لتلقي نظرة إلى البقية الذين
كانوا قد وصلوا بالفعل وعلى رأسهم بالطبع «حلمي مهران»
يراقبهم جميعًا..

«أشرف» هايساعدكوا كلكوا.

يبتسم «أشرف» اطمئننا ممزوجًا بثقة وهو يدير اليخت،
منصتًا إلى حديث «هدى» المخترق مسامعهم جميعًا وهي تتابع
حديثها:

«هاتيخوا سوا من النقطة اللي هاحدهالكوا، وطبعًا مفيش
حد هايبقى عارف انتوا رايعين فين!».

وإذ كانت الشمس ترتحل للمغيب والبحر متهيئًا لبيتلعتها
ساحبًا إياها من زوينة الشفق التي أثارته في أقصى الأفق
على متن هذا المركب الذي يقوده «أشرف»، ومعه السبعة
الآخرون قد تجمعوا فوق ظهره جميعهم أيضًا، فبدأ «حلمي
مهران» مستمتعًا بنسيم الهواء، وبينما انهمك كل منهم في
تصوير المشهد البديع آخذين في جمع لقطات غاية في الروعة
لكل منهم، مأخوذين بسحر لحظات الغروب هذه، تواصل
«هدى» حديثها حتى بلغ المركب مبلغه، فكان- ليلاً- في
وجهته المحددة له بالضبط.

«تلات أيام، هانفضل فيها سوا، إحنا وس، على جزيره من
أحلى جزر مصر، مفيش حد جيه فيها، إلا واتعالج»

وصل جميعهم إلى تلك الجزيرة المعزولة عن العالم، ليرجل
كل منهم من اليخت حاملين حقائبهم، لتحييهم الدكتور
«هدى» التي كانت في انتظارهم حسب خطتها، ليبدأ للتو
الجنون من على متن تلك الجزيرة الغامضة، التي كان فيها
هذا الكامب البدائي يضيء بإنارة كهربائية خافتة من مولد
ضعيف لا ينجح في شق بدن عتمة الليل ولا أن يملأ عبابه
بالضياء، فأقصى محاولاته هو شعاع، كخيطة نحيل يسيل على
أرداف هذا الليل البهيم الضخم، لتجمعهم «هدى» من حول
تلك النار الموقدة بالحطب يستضيئون بها، ولعلمهم يصطلون
برهة من الزمن نالوا فيها قدرًا من الدفء! عقبها تقف هي على
رؤوسهم بالشاطئ، وسط ثمانيتهم جالسين، قد تحلقوا حولها
في شكل دائري دون أمتعتهم، ليفاجأوا أنه قد مر وقت على
تجمعهم لتقول:

- أحب أحبي جراتكوا اللي وصلتكوا هنا، حقيقي إنتوا
مختلفين عن كل الناس.. بس قبل ما نناقش اختلافكوا ده،
أحب أشرحلكوا قوانين الجزيرة...

كأطفال مشاغبين تتعاقب على وجوه معظمهم تعبيرات عديدة
من حيرة واستياء إلى سخرية واستهزاء يتهمكم القبطان «حاتم»،
في حين يعلق «سيف»:

- قوانين!!!



فترد «هدى»:

- القوانين اللي اتفقنا عليها، قبل ما تيجوا هنا.

«عاصي» متنصلاً:

- أنا ماتفتش على حاجه.

- لآ اتفقنا، وعمومًا القوانين دي لمصلحتكوا وسلامتكوا.

تقولها الدكتورة «هدى» بينما ظل «حلمي مهران» يرمق شاطئ الجزيرة مندهشًا، فقد عادت إليه نفس الرؤيا التي شاهدها القضية السابقة، على نفس الشاطئ؛ حيث وجد القوارب الثلاثة هنالك جاثمة فوق ظهر البحر تمخر عبابه، إذ كانت «وعد» على أولها، ثم «ماجى» على الثاني، وأخيرًا «حنان» على الثالث، ليتوتر ويقف فجأة:

- في حاجه يا «حلمي»؟!!

تسأله «هدى»، فيعود بنظره إلى الشاطئ ليجد المراكب قد اختفت، فيجلس دون أن يتفوه بكلمة، ليتساءل «حبيب» ورجلاً:

- هو في حد جيه الجزيرة دي قبلنا؟!!

- طبعًا، عشان كده عايزاكوا تفهموا كلامي كويس أوي.

- إحنا هانفضل هنا ثلاث أيام وهايجلنا «أشرف» ياخدنا في

اليوم الرابع، هانتعزل هنا عن العالم، ومفيش معانا غير تليفون وحيد للطوارئ.

تقولها «هدى» وهي تشير إلى هاتف قديم الطراز وضعته



داخل حقيبة يد بجانبها، بينما تتدخل «جميلة» كمراهقة تتعلم التمرد:

- ده سجن بقى؟!!

- بالعكس، إنتوا هنا أحرار، بس لازم تحترموا حقوق بعض، الأكل والشرب اللي معانا على قدنا، عشان نتعلم نشارك بعض، والكهرباء كمان بحساب، يا دوب المولد يشغل إضاءة قليلة لمدة ساعتين تلاته بس بليل.

تقولها قبل أن ترتعش الإضاءة بالفعل؛ ما أضفى صبغة رعب على سواد ليست بأقل سوءًا من وشاح هذا الليل المخيف الذي كشف لهم عن سواته!!!

ثم وبلا سابق إنذار جعل صوت المولد يتهادى شيئًا فشيئًا، حتى ارتخى تمامًا وعجز عن العمل!! ليعم الظلام على ثمانيتهم إلا من ضوء النيران، وقد أصابها السأم هي الأخرى فجنحت إلى أن تخبو أو حتى تخلد إلى النوم في فراش هذا الليل الأثم!! ليكف الجميع عن السخرية، ليلاحظ «حاتم» لتوه من وسط سكوتهم عبور هذا الطفل الضاحك بدراجته الصغيرة، مصدرًا صوتًا منبهاً؛ ليتعرق «حاتم» من صوت جرس تلك الدراجة البغيضة إلى قلبه، ليلاحظ «حلمي مهران» الأمر أيضًا!!

فتدرك الدكتور «هدى» ردة فعله مبتسمة، بينما ينعكس ما تبقى من وميض النيران على وجهها، وشعاع نحيل منعكس في لمعان عينها ليبدأ اللهو مجددًا..



بينما كان من على بعد عدة أميال «أشرف» وقد وصل باليخت هذا اللسان الخشبي الخاص، فجعل يصفه بحرفية شديدة، بجانب دراجة مائية صغيرة يمتلكها واضعًا الحبال على المرسى الخاص، ثم نزل من اليخت وتحرك متجهًا إلى هذا المنزل، الكوخ الصغير الذي سينتظر فيه الإشارة من رئيسه «هدى» التي كانت لا تزال متربعة الوركين والرجلين وهي تقلب حساءً موضوعًا وسط العديد من أنواع الطعام المعد مسبقًا للعشاء، في تلك المنطقة الخارجية التي خصصتها للطبخ وتقديم الطعام، كتلك البوفيهات المفتوحة في الفنادق الفاخرة، بينما كانت تساعد «سميحة» و«جميلة» اللتان تنذران في ضيق.

- هو إحنا هنا جاين نخدم الرجاله؟!

قالتها «جميلة» لتعلق «هدى»، حين سمعتها:

- إحنا هنا عشان نخدم بعض يا «جميلة».

لم تقتنع «جميلة» فأردفت «هدى»:

- ممكن بكره تجربي طبيخ الرجاله لو تحبي.

بُهتت مما سمعته، فلم تُبدِ منطقتًا ولم تَنبِسْ ببنت شفة..!!
بينما كان أغلب الرجال داخل خيمتهم هاهم أولاء أربعتهم:
«حبيب» و«سيف» و«حاتم» و«عاصي» يرمقون بعضهم البعض، جالسين على أسرتهن الملاصقة للأرض، كعوازل السيدات القديمة بأبواب ومداخل تلك الأزقة العتيقة، إلا أن «عاصي» كان أكثرهم حيوية، يقول وقد ظهر عليه التوتر:



- طب ايه.. هانقعد ساكتين كده؟ دول تلات أيام.

بهدوء يبدأ «حبيب» بتعريف نفسه:

- أنا «حبيب».

يبتسم «عاصي» ناظرًا إلى «حاتم» ليعرف بنفسه، ولكنه لم يجبه وكأنه لم يسمعه، بل توجه إلى حقيبتة وأخرج منها علبة سجائر ليشعل إحداها، قبل أن يتدخل «سيف» ساعلاً:

- في ايه يا حاج؟ ماتدخن برا.

بنظرة خاطفة أوماً له «حاتم» إلى عكازه، ليرتبك «سيف» فأنشأ يعتذر:

- أنا آسف، معلش... أنا «سيف».

يتفاعل «عاصي» مع الرفاق:

- عاشت الأسامي يا رجاله.

يقولها ثم يقف مقترباً من «حاتم» ليخطف سيجارةً دون استئذانه، ليذهل الأخير مندهشاً مُبرقاً بعينيه فلا يجدي هذا نفعاً معه؛ إذ لم يخجل «عاصي» على كل:

- معلش أصل «أشرف» أخذ مني كل سجائري.

يعترض «سيف» غامزًا بإحدى عينيه، منبهاً «سيف» على ما كانت تحتويه..

- عشان مكنتش سجائر، ريحة الحشيش كانت قد كده!!

متبرماً «عاصي»:

- إنا هانبدأ أحكام من أولها كده؟!!

- ولا أحكام ولا حاجة، رنا يصلح حالك إن شاء الله.

قالها «سيف»، ثم أبرز مصحفًا من حقيبته وغادر الخيمة، وقد أخذ «حبيب» يسعل هو الآخر من دخان السيجارة، لیتبع «سيف» إلى الخارج، ليلمحا من الخارج خامسهم إذ كان «حلمي مهران» قائمًا بعيدًا عند الشاطئ فيرقبانه للحظة، ويحاول «سيف» استقراء ما في عقله:

- هو الراجل اللي هناك ده مش مستنضفنا لیه؟!!

- «حلمي»؟

یتساءل «حبيب» لیتابع «سيف»:

- معرفش اسمه، بس مش مستريحله، شكله وراه حاجة..

قالها «سيف» معلقًا، بينما كان «حلمي مهران» في عالمه ومن موقعه بهذه الجزيرة المنعزلة سابقًا في الملكوت ما فتى قائمًا شاردًا في بهاء الكون، متلبسًا بحالة من الإيحاء والتجلي وهو يرمق ذلك المركب الصغير الذي بدأ يقترب من الشاطئ -في خيال عقله المريض- إذ كانت صديقتة الصحفية «حنان» هي الوافدة التي على ظهره، وحال وصولها ترجلت متسائلة:

- إنت بتعمل إيه هنا يا «حلمي»؟! وليه ماقولتليش إنك

جاي؟!!

لائدًا بالصمت، ظل «حلمي مهران» يراقب رؤيا عقله



الداخلية وهي تكمل:

- ماتخافش محدش غيري شايفك، أنا جوا دماغك في العالم
اللي انت خلقتهلنا كلنا.

يظل «حلمي مهران» صامتًا لتتابع هي معاتبه:

- مكنتش محتاج تيجي هنا عشان تشوفنا، إنت دماغك أكبر
من الجزيره كلها.

يقترّب «حلمي مهران» منها بضع خطوات:

- بس يمكن هنا الصورة أوضح!

- طول عمر صورتنا واضحه قدامك يا «حلمي»، إنت اللي
بتهرب منها..

يلتفت مبتعدًا عنها لتناديه:

- أنا بحبك يا «حلمي».

يعود هو إليها في تردد، لتكمل هي:

- كلنا بنحبك يا «حلمي».

يبتسم «حلمي مهران» لها بعدما أدرك أنها غير موجودة إلا
هيئتها وقد حملها الموج على ظهره إلى مكان بعيد، ليحدث
نفسه:

- ما أنا فعلاً اتحب!

بدأت «سميحة» بنقل الطعام من منطقة الطهي إلى جلسة عربية منخفضة في العراء تحت ستر الليل المتهتك، فلا يوثق فيه أبدًا ولا يُؤمن جانبه بصورة تامة!! كانت تجلس في المجلس هذا «فرح» صامتة كعادتها، لتبتسم لها «سميحة» ووضعت الطعام ثم عادت إلى «هدى» ومن بعدها جاءت «جميلة» هي الأخرى بجزء آخر من الطعام، لتضعه قبل أن توبخ «فرح»:

- هي الهانم مش هاتساعدنا ولا إيه؟!

لم تجبها «فرح» ووضعت سماعتها لتعاود «جميلة» الصياح:

- ما تردي.. إنتي خارسه!

تتشنج «فرح» خوفًا، لتعلق «جميلة» مندهشة:

- ما لك يا بنتي في إيه؟!

تزداد «فرح» ارتعاشًا مع اهتزاز جسدها للأمام والخلف بطريقة مرضية، تتزايد شيئًا فشيئًا مع تصاعد طبول الموسيقى، و«جميلة» قد غزاها الخوف، فانسحبت مترجعةً، وهي تصرخ منادية الدكتور «هدى»:

- يااا دكتور.

تقولها «جميلة» صارخة بينما «فرح» شاردة قد عادت إلى ذكرى قديمة داخل عقلها الباطن منذ شهور طويلة، حيث زارت هذا الجراح المشهور «ماهر» الذي كان ممسكًا بأشعة «فرح» الجالسة أمامه مقابل أختها الأربعينية «مي» ليوجه إليها

الطبيب الحديث:

- والله يا «مي» هانم أنا شايف حالة «فرح» أختك مش محتاجه أي تدخل جراحي خالص، أعتقد إنكوا لازم تبدأوا العلاج النفسي، خصوصًا مع تاريخها بأعراض الأوتيزم.

ظل الدكتور «ماهر» خالغًا نظارته الطبية، بينما ظلت «مي» رافضة، فقد كانت هي من ترعى أختها الصغيرة، وقد كانت «مي» ملائكية الطباع والملامح، فهي بيضاء البشرة حد الجنون، بشعر أسود مموج حالم لتقول:

- بس يا دكتور «ماهر» «فرح» كانت اتحسنت جدًا، وبقت تقريبًا طبيعيه خالص... وبعدين تقرير الأشعه مبين إن في حاجه!

- أنا فاهم، بس صدقيني أنا كجراح، بقابل حالات أسوأ من كده كثير، وتتقدر تتكلم عادي...

تسكت «مي» وهي تنظر إلى «فرح»:

- «فرح» محتاجتش مساعده قبل كده، رغم كل حاجه كنا بنعدي المشاكل سوا، معرفش ليه مش عايزه تشاركني المرا دي، «فرح» دي تبقى بنتي اللي مخلفتهاش يا دكتور.

- دوري وهاتلاقي يا مدام «مي».

يقولها قبل أن يقوم بإبداء نصيحة أخيرة:

- تحبي أرشحلك طبيب نفسي ولأ تعرفي حد؟

- هو أنا حقيقي أعرف، بس يا ريت حضرتك ترشخلي حد.



وقد كان!



(02)

تحت إضاءة خافتة عند الجلسة العربية جلس ثمانيتهم في شكل دائري، بعدما أنهوا طعامهم، يسترخون وقد تسربلوا بغطاء الليل فضفاضا، لتبدأ الدكتورة «هدى» أولى جلساتهم:

- أعتقد بعد ما أكلنا وشربنا واطمنا على «فرح»، المفروض نكمل تعارف على بعض، عشان اللي حصل ده مايتكررش.

تدخل «جميلة» مبرئة نفسها:

- أنا والله مكنتش أعرف إنها عيانه.

- تاني يا «جميلة»؟! «فرح» مش عيانه، هي مختلفه مش أكثر، وباريت أي حد منا يقدر يحقق اللي هي حقيقته.

يعلق «سيف» مستخفاً جاهلاً ما حقيقته «فرح» قائلاً:

- حقت إيه يعني؟!

تشير «هدى» جهة «فرح» مجيبة:

- أتمنى إن هي تحكيلنا بنفسها لما تهدي، صح يا «فرح»؟

تنظر إلى «فرح» متسائلة، لتومئ الأخيرة برأسها، وبطل «حلمي مهران» يرمق «فرح» بتركيز قبل أن يلفت انتباه الدكتور «ماهر» الذي عبر في الخلفية من بعيد، ليندهش هو، وتلاحظ «هدى» تشتته متسائلاً:

- ما لك يا «حلمي»؟!

بعد أن لاحظ «حلمي مهران» اختفاء الدكتور «ماهر» لاذ

بالسكوت، لتتابع الدكتورة «هدى» إرشاداتها:

- لازم تتكلموا يا جماعه، ياريت كل واحد يتكلم عن نفسه شويه، ونشارك بعض الأسباب اللي وصلتنا لهننا.

يتدخل «حبيب» مُتجرئاً عليها:

- طب ما تبدئي حضرتك.

- أنا؟!..

تجيب «هدى» مندهشة.

- أيوه، على الأقل تفهمينا المفروض نقول إيه!

- ماشي... أنا «هدى الحكيم»، من أب مصري وأم كندية، ودرست هناك طب واتخصصت في الطب النفسي.

يعلق «عاصي» منغمساً في الحوار:

- واشمعنى الطب النفسي؟!!

لا يزال «حلمي مهران» يرمق كلاً منهم، بينما تجيب الدكتورة «هدى»:

- عندنا في «كندا» علم النفس تخصص ما يقلش عن أي تخصص طبي تاني.

ترتعث يد «هدى» التي يلاحظها «حلمي مهران»، بينما تتهكم «جميلة» متسائلة:

- وسببتي «كندا» ورجعتي ليه؟!!

- المنفعة العامة... حسيت إني أقدر أفيد الناس هنا أكثر.

- نظريه برضه...

- بالضبط... ده اللي اتعلمته من والدي، لما اختار يرجع

مصر عشان يفيد الناس.

كذبت هي وإن كانت صادقة!!

- يعني سابكوا ومشني؟!

تكمل «جميلة» تهكمها، ليقوم «حبيب» بمداخلة:

- طيب ووالدك...؟

قاطعته «هدى» من فوره في ضيق صادق، بعدما استطاع

«حبيب» الضغط عليها:

- مش مهم والدي، ومش مهم أنا دلوقتي، المهم انتوا، أنا

دوري إني أخليكووا تواجهاوا مخاوفكووا كلها، وده عشان يحصل

لازم تتعلموا تتكلموا عليها، هنا هانشارك بعض بكل حاجه

ومحدث يخاف، لأن زي ما قتلكووا اللي هانتقال هنا هانتدفن

معانا... ها مين هايبدأ؟

يعلق «عاصي» مُتَلِمِّسًا:

- طب اختاري انتي يا دكتورتنا، ماشي، وأنا هانشارك، عشان

انت المفروض أجراً واحد هنا.

- جريء آه، بس مش شاطر زيكووا يا دكتور.

- إحكي وسيلنا الحكم.

بدأ «عاصي» في تذكر قصته التي كان يقرأها الآن «أشرف» في ملفه من داخل هذا الكوخ الخشبي، بينما هو يحتسي مشروبه الكحولي الموضوع على منضدته بجانب باقي ملفات سبتهم، فقد كانت قصة «عاصي» مؤثرة وها هو يقصها وهو يرتشف رشفة من مشروب موضوع أمامه، بينما يربح ظهره قائلاً:

- أنا «عاصي» وده مش اسمي الحقيقي على فكره، ده الاسم اللي أمي كانت بتندهني بيه، عشان طلعت شيطاني، عكس تربيتها أصلها.. كانت ست عظيمة، وهبت حياتها للخير وللناس وما بخلتش عنهم ولا عني بأي حاجة، من ساعة ما أبويا مات للأسف كنت دايمًا مخيب ظنها وعمري ما قدرت أفرح قلبها، كنت جاحد بنعمة ربا عليا وما شوفتهاش، سبتها هي تمسك مصانع أبويا وأنا فضلت أضيع فلوسها على الباربات.

يتوقف لحظة ثم يرتشف رشفة أخرى من مشروبها، ثم يتابع وهو ينظر إليها:

- مش قتلتك مش شاطر؟!...

سكر وسكرت، حشيش وشربت، وبعدها في البودرة ووقعت. يقولها وهو يتذكر لمحات من ماضيه في الباربات وعبر ذل المخدرات.

- بقيت مدمن، مدمن كل حاجة وأي حاجة، لغاية ما بقيت صفر، وبعديها نزلت عن الصفر، لما خسرت كل حاجة.

قالها جائلاً في المكان بعينيه مستبصراً، حتى انتبه إلى وجود أمه «منال» تقف هناك خلف المخيم تراقبه في صمت، تسمّر بمكانه مرتقبًا، يكاد لا يصدق ما ترى عيناه!! يقف «عاصي» ويخطو خطوة مستأخرًا عن جمعهم متوجهًا إلى والدته تناديه والتي لم تحضر إلا في خياله! بضع خطوات خطتها قدماه، ليجد نفسه فجأة داخل غرفة بمنزل والدته، ليظل مندهشًا، قبل أن يرى نفسه في مشهد قديم يتذكره جيدًا يراقب ما حدث مسبقًا بالفعل! حيث كان «عاصي» حينها مهلهل الثياب يبحث عن مخدراته، هائجًا يتحرك مندفعًا كالمجنون إلى صالة المعيشة؛ بحثًا في كل بقعة عن مخدراته!!

- هي فين؟!!!

بالخارج كانت «منال» أمه هناك قائمةً، ترتدي وشاحًا أحمر.

- هي إيه؟!

- إنتي عارفه كويس فين الحقنه.

- يا أخي إيه البجاحه دي؟! بتسأل على المخدرات في البيت

وقدام أمك؟!

لا يبالي لها «عاصي» ويدخل غرفة الأم باحثًا عن حقنته كالمجنون ذات اليمين وذات الشمال، بينما هي من خلفه

تنهره!!

- إنت اتجننت يابني؟!!

لا يجيب «عاصي» لتترب منه الأم فيدفعها، مُواصلًا بحثه،

حتى سحب درج الدولار ليجد ضالته أسفلها، ابتسم ابتسامة
نشوة لقاء الحبيب بحبيبه، بينما الأم من خلفه تحاول منعه
باكية تتوسل لربها، وتستهدي ولدها!!

- بلاش والنبي يا ابني، ماتضيعش نفسك، كفايه كده.

يتنحى «عاصي» غارزًا الإبرة في ذراعه بحرفية عالية،
وحالما اقتربت الأم مرة أخيرة منه لتسحب الحقنة، استعصى
عليها، واسترضى شيطانه المرید، فدفعها للمرة الأخيرة،
لتسقط أرضًا على رأسها، سائلة دماؤها في المكان، ما فتئت
تنادي باسمه ممسكة بقدمه وهي تجود بنفسها في لحظاتها
الأخيرة»

- «أمير».. إبنی.

ينتبه «عاصي» للتو لما فعل، ليجثو أرضًا، قبل أن تلفظ أمه
أنفاسها الأخيرة وبطل يصرخ وبولول آخذًا بوشاحها الأحمر:

- أنا مش «أمير» أنا «عاصي».

ينتبه «عاصي» لنفسه، فإذا به قد عاد لحاضره في هذه
الساعة من الليل قد تناثرت فوق رأسه النجوم في السماء
واقفًا بالخلاء بإزاء المخيم، لا يدرك كيف تخيل تلك الرؤيا أو
الذكرى! ليظل شاخصًا إلى مخيمه، شاعرًا بأمه القائمة خلفه،
مسترسلاً في شروده تابعًا إياها، تاركًا المجموعة المندهشة
مما يفعل، إذ كان المكان خاليًا من كل ما بأوهامه!!

- ماله ده ملبوس ولا إيه؟!!



تقولها «جميلة» وهي تراقب شروده، وسعيه خلف السراب،
وقد لاحظ «حلمي مهران» أنه أبصر ما شاهده «عاصي»
بالفعل، فقد تجسدت له الرؤيا بالفعل، ليظل هو الآخر مندهشاً
قبل أن تتدخل «هدى» مشيرة بيدها وجهتهم:

- خلوه ياخذ وقته.

يقف «حلمي مهران» الذي ناداه الفضول بعدما أبصر
«عاصي» والده هو الآخر، لتساءل «هدى»:

- على فين يا «حلمي»؟!!

- هاجيب حاجه من الخيمه.

كاذباً قالها وهو يتحرك ناحية الخيمة، بينما هو يتبع
«عاصي» الذي ظلت «جميلة» ترمقه مضيفة.

- إيه يا دكتوراه المصيبه اللي انتي جايبهالنا دي؟! مدمن؟!!

ترفض «هدى» وصف «جميلة» قائلة:

- بالعكس «أمير» مجرد بني آدم غلط وندم، لدرجة إنه حاول
ينتحر أكثر من مره..

تعقب «سميحة» متهكمة:

- وهو مين فينا ماحاولش ينتحر قبل كده؟!!

يسكت الجميع بالفعل شاردين، لتتدخل «هدى»:

- عشان كده يا جماعه محدش ينفع يحكم على الثاني، لأن
محدش فينا جاني، والأهم محدش منا يصلح يبقى

حكم.....

يتساءل «سيف» في آدمية أصبحت من طبيعته:

- وهي أمه ماتت؟

- لسه... هي شبه ميتة في المستشفى، قلبها ماستحملش
الوجع.

لوهلة تَصِفُنُ تذكر «هدى» تلك المسكينة المستلقية على
سرير بالمستشفى ثم تردف:

- ومتعلق بيها بيوت آلاف الغلابه، مستنيين معجزه.

كانت «منال» قد استطاعت إدارة مصنع زوجها المتوفى،
ليفتح بيوت الكثير من العمال الذين غدوا مشردين، بعدما
جرى لها ما جرى!!

- وهو ليه «عاصي» مايمسكش مصالح الناس؟!

تتساءل «جميلة» لتجيبها «هدى»:

- للأسف الاكتئاب منعه، كان أقوى عليه من الإدمان...!!ها
مين تاني يحب يتكلم النهارده؟

تنظر «هدى» إليهم، دون أن يعلق أي منهم، لتتوقف هي عند
«سميحة» لتختارها:

- «سميحة».

- أنا؟!

توترت «سميحة» لتحاول البدء بالحكي، هذا بينما من على

بعد عدة خطوات كان «حلمي مهران» بظهر الخيمة منبعثًا من بين وسط أيكة ملتفة من الأشجار كان يتلصص منها، فولّى هاربًا، ليتبع «عاصي» الذي ظل يمشي خلف أمه كالنداهة في ذهول وسط الجزيرة، لا يتفهم ما إذا كان واهمًا أم واعيًا! إلا أن الشرود ظلّ يملأ ملامحه!

- ماما!!

ظل يحاول اللحاق بها عدة خطوات، عقبها توقفت أمه والتفتت إليه:

- أيوه يا «عاصي».

يذهل «حلمي مهران» الذي استطاع رؤية «عاصي» للتو قبل أن يتوقف الأخير ناظرًا أرضًا في خجل.

- صح يا أمي أنا عاصي مش «أمير».

ثم يرفع رأسه ليجد الأم قد اختفت، غير أن وشاحها الأحمر ملقى على الأرض!

من خلفه يندهش «حلمي مهران» الذي يلاحق أوهام الرجل مشدوهمًا من أثر ما يرى من أحوال!! بينما يحاول «عاصي» استيعاب ما يحدث، قبل أن يقترب بهدوء ليجثو على ركبتيه ويمسك بالوشاح ليجد في داخلها تلك الحقنة التي يعرفها عن ظهر قلب، ليمسكها في تردد بينما من خلفه لا يزال «حلمي مهران» يراقبه، رصده ممسكًا بالحقنة، ليتعرف عليها، قبل أن يستسلم لسماها مرة أخرى، فيبتسم رغم دموعه وهو يغرزها في وريده!

- أنا آسف يا أمي ..

يتوتر «حلمي مهران» وهو يشاهد «عاصي» يرتعد فور أخذه الجرعة الزائدة، فيهرع إليه مسرعاً في محاولة لنجدته... ..

- أنا من عيله غنيه، عشان كده أبويا مكنش موافق على جوزي ..

قالتها للتو «سميحة» التي كانت قد بدأت تسرد قصتها للبقية من على الشاطئ:

- كان نفسي أمي تبقى عايشه عشان تفهمه إحساس الست لما قلبها يختار، بس للأسف السرطان سرقها مني.

هربت من عينيها دمعة، ثم تابعت:

- هربت واتجوزت دكتور كان معايا في الجامعه، والصراحه عشت أحلى سنين حياتي، وخلفت إبني الوحيد، أجمل هديه من الدنيا، بس حسيت فجأه بوجع أبويا، لما عرفت إن ابني عنده سرطان!

يرمق «حبيب» «سميحة» بعطف شديد لاحظته «جميلة» مبتسمة، قبل أن تكمل «سميحة» والألم يعتصر فؤادها، لتفلت من عينيها دموع منهمة حارقة من حُشاشة كبدها فأمضتها:

- تخيلوا ابن السبع سنين، يواجه المرض ده لوحده! ..

- وجوزك؟!!

سألها «حبيب» مستفسراً، فأجابته متحسرةً:

- عاتبني، عشان السرطان وراثي في عيلتي!

- سنه وأنا في أسوأ رحله ممكن إنسان يعيشها، خصوصًا لوحده، أشعات وكيمائي ودكاتره، حياه شبه يوميه داخل المستشفى، من غير عيلتي ولا جوزي، يمكن الحاجه الوحيده اللي صبرتني كانت المستشفى، شهر طويله واحنا حاسين بالحب والموده، الدفا ده قدر يوصل لقلوبنا كلنا.

قالتها وهي تتذكر مستشفى 57357 بينما كان الممرضون يلاعبون ابنها مرتدين الأزياء البهلوانية، بينما ابنها حليق الشعر في وسطهم يضحك، لتبتسم «سميحة» للحظات ناسية همها.

العلاج بدأ يجيب نتيجة كويسه والأمل اتملكني، والحياه رجعتلي، بس للأسف العلاج هاجم جسمه الضعيف، لغاية ما في يوم تعب مني فجأه، وروحنا أقرب مستشفى طوارئ، وهناك كانت آخر بسمه ليه، ما هو مفيش هروب من قضاء ربنا!!

تقولها متذكرة اللقاء الأخير من داخل الطوارئ حيث كان ابنها مستلقيًا لا يبدي حراكًا، لا مُمانعة ولا مطاوعة، منهارة تشبّت بولدها ضامة إياه بين حنايا ضلوعها، راحت تجهش بالبكاء بصوتٍ مُفزعٍ، أطلقت عدة شهقات تحشرجت في صدرها، وبركانًا يُذيب قلبها ذوبانًا، تبكي الدم بعد الدمع من حممه فورانًا، لتهرع إلى الخارج طالبة النجدة، وإن كان قضاء الله أقوى، فقد استرد وديعته لتبكي جاهلة أنه كان تذكرتها للجنة. من الطوارئ كان الجميع مشغولين في حالات كثيرة



منها حالة تلك المرأة التي حاولت الانتحار، والذي يهرع بها زوجها في هلع هو الآخر، حيث كان الرجل هو «حبيب» يهرع بترولي زوجته، بينما كانت «سميحة» تستصرخه وهي تنوح نوحًا، كل ما جاد به أن اختلس نظرة كسيرة إليها، ما زاد وما عاد، عَمَدَتْ حينها تستوقفه، فلم يكد يُلم بما تقوله أو تطلبه، قبل أن يتركها إلى ما هو فيه حينها عكس شعوره الآن جانبها على الجزيرة حيث استطاعت هذه المرة أن تستوقفه، لتهرب الآن دمعة من عينه متأثرًا ببالغ الأسى بقصتها؛ الأمر الذي تلاحظه «هدى» بنظرة فضول:

- بعدتها كل حاجه في حياتي وقفت حتى قلبي، مازعلتش لما عرفت إني مش هاعيش كثير.

تقولها «سميحة» ممسكة بقلبها، ليظهر من أسفل بلوزتها هذا الجرح الذي يدل على جراحة ما، وتقول:

- بس بابا برضه ماسبنيش، وكأنه بيعاندني!

تقولها عائدة بذاكرتها إلى ما بعد موت ابنها حين علمت بضعف قلبها الذي لم يستطع ضخ الحياة إلا لأيام قليلة، إلا أن والدها رفض أن يتركها للموت، وتمسك بها ليستخدم نفوذه الآن لإنقاذها بهذا القلب الذي اشتراه من قتل رغماً عنه، ليقوم الجراح الماهر بإنقاذها، لتعود «سميحة» بالذاكرة للوراء، حيث تتذكر «سميحة» بعضاً مما جرى ليلتئذ داخل غرفة عمليات ليست بمستشفى، بل في مكان مختلف إلى حد ما، تظهر مستلقية على سرير وهي تقاوم المخدر، قبل أن تنظر إلى جانبها هي مستلقية بعدما أخذ منها قلبها، بينما حضر



الدكتور «ماهر» ليطمئنها في ود شديد، لتغلق عينها رجوعًا إلى الحاضر لتقول:

- وقدربابا يستخدم نفوذه وينقلني قلب، عشان يخليني أعيش في الوقت الوحيد اللي اتمنيت فيه الموت، وبعدها سابني برضه لوحدي وحصل أمي...!!!

يظل «حبيب» المتأثر يرمق جرح «سميحة» في شرود، لتلاحظ «هدى» مبتسمة بفضول يدركه هو، فيهرب من الحديث متسائلًا:

- هو «عاصي» اتأخر كده ليه؟!!

يقف «حبيب»، بينما يتجاهله البقية لتقترب «جميلة» من «سميحة» تضمها:

- قلبي عندك يا «سميحة».

تستوقفها «سميحة» باستعارة قائلة:

- مش محتاجه، خلاص بقى عندي واحد، وأديني عايشه أهو، و«أشرف» كتر خيره دلني على الدكتور «هدى»، يمكن تقدر تلاقى سبب للقلب المزروع جوايا يعيش عشانه!

- هاتلاقي يا «سميحة» ماتخافيش.

تقولها «هدى» وهي تراقب انفعالات وجه «حبيب» بابتسامته، قبل أن يتابع هرويًا:

- طب أنا هاروح أشوف «عاصي» فين.



تعترض «هدى» مردفة:

- اسمه «أمير».

يتحرك «حبيب» إلى عمق الجزيرة متوارياً وحيداً متجهاً إلى «عاصي» الذي كان بين يدي الله، بينما لا يزال «حلمي» مهران» ممسكاً بجثمانه الذي لفظ أنفاسه الأخيرة للتو، في توتر غير مصدق، وهو يحاول مراراً الضغط ناحية قلبه، حتى نهض يائساً، قبل أن يلفت انتباه «حلمي مهران» تلك الحقنة الملقاة أرضاً، ليلتقطها فيعرفها من توّده، إنها إبرة محشوة بجرعة مخدر لعينة، سلاح قاتل فتاك، كم أجهز على الكثير، وأودى بربعان حياتهم، ليبرق فيها بين ناظريه ناقماً أشد ما تكون النقمة، يكاد الشرر يقدح ويتطاير من عينيه!! قبل أن يعود من وحيه إلى ما يحدث سامعاً صوت حركة وسط الزرع، فيلتفت ليرفع رأسه ليشاهد شيئاً ما جعله يتوتر!!!

(03)

لاحظ «حلمي مهران» للتو اقتراب «حبيب»، يزيد صوت حركته صوت الطبول في أذني «حلمي مهران» الذي حاول الهرب مسرعًا، فلم يلحظه «حبيب» فقد كانت أذن الأخير مشغولة بصوت خرير المياه وسط الجزيرة، ليتذكر ما حاول نسيانه!!

عائدًا بالزمن إلى الورااء قليلًا حين دخل «حبيب» غرفة منزله، ويده بوكيه من الورود ليعطيه لزوجته، ولكنه وجد الغرفة خالية وصوت مياه الاستحمام عالٍ يصدر من حمام الغرفة، فوضع البوكيه على السرير ليفاجئ زوجته، قبل أن يلاحظ درج الكومود خاصتها مفتوحًا!

اقترب إليه في حذر مع استمرار صوت المياه من الحمام، ثم جلس على السرير ليكمل فتح الدرج؛ ليجد تلك الأجندة الحمراء التي سطرت فيها زوجته قصتها، وتظهر بين سطورها جملتها الأخيرة:

«لم أعد أتحمل وحدتي»

كانت زوجته مريضة اكتئاب منذ فقدانها الأمل الأخير في الإنجاب، ليظهر الضيق على «حبيب»، فيضع الأجندة ملاحظًا علبة دواء داخل الدرج يعرفها جيدًا؛ نظرًا لتخصصه الطبي، فتناولها بيساره من الدرج ليتأكد من صحة ما توقعه في ذهنه تَوًّا، ليظهر التوتر عليه حينما انتبه إلى خلو العلبة، معيّدًا رجها ليتأكد، ليدرك «حبيب» الأمر فيُحرر الأجندة من يده، وبدعها

تتهاوى ساقطةً أرضاً، ثم يتجه إلى باب الحمام ليفتحه جاهداً، فلا ينجح، يهتاج فيعيد الكرة بعد الكرة بجنون!! قبل أن يكسره أخيراً ليجد ما لم يحتسب عقابه..

يعود «حبيب» بجوف الليل إلى واقعه في الجزيرة والاشتياق يملأه، يتابع حركة خطاه، ليتوقف عند شيء ما يحول دون ذكرياته، إنه جثمان «عاصي»!!

هذا بينما ومن على بعد برز «حلمي مهران» من خلفه بعدما استطاع الفرار مُفلتاً من المكان، ليعود إلى تجمع الشاطئ مسرعاً ممسكاً بمكعب «روبيك» لترمقه «جميلة» في توبيخ:

- هي دي بقى اللي كنت بتجبتها؟!

- مكعب «روبيك» ده محتاج ذكاء مختلف.

تقولها «هدى» مدافعة عن «حلمي مهران».

- لازم اللي يلعب بيه يكون ليه عالم خاص، عشان تقدر تتخيل فيه كل أطرافه...

قالتها «هدى» ليتوتر «حلمي مهران» ثم تنظر إلى البقية عطشى للمزيد من الروايات:

- ها.. مين تاني يحب يحكي قصته؟

لم يكثر أحد ولم يعبأ، سوى «فرح» التي لاحظت شيئاً ما يتحرك بصورة غير طبيعية، فقامت بصمتها وهي تنظر إلى ما يتحرك، لينتبه الجميع لهذا القادم يهرع ناحيتهم! فقد كان «حبيب» هو الذي جاء يهرول، فتساءل «جميلة»:

- ماله ده؟!

وقف البعض ليقترّب «حبيب» بعدما توقف مستجمعاً
أنفاسه، ليسانده «سيف» متسائلاً:

- في إيه؟

- «عاصي»!

- ماله؟

تتساءل «سميحة» مذعورة:

- مات..

- يا نهار اسود!

تنهار «جميلة» بينما يذهل الجميع عدا «حلمي مهران»
ليتدخل «سيف»:

- فين؟! وإزاي؟!

يقف «حبيب» ويقول بتعب، وصوت متقطع مشيراً إلى ما
بعد الكامب.

- جوا هناك.

يتحرك «سيف» لتحدثه «جميلة»:

- رايح فين؟

- أشوف الراجل..

تبدأ «جميلة» برؤية وجه «سيف» الحقيقي، الذي به الكثير



من الشهامة لترمقه بنظرة مختلفة عن رجال أفكارها، بينما يتحرك «سيف» مع «حبيب» الذي صاحبه متضرراً، لتتبعه «سميحة» وهي تنظر إلى البقية، تتبعهما «فرح»، ثم «حلمي» مهران» لتقف «هدى» من بعدهم في تردد، فتقع منها حقيبة يدها التي بها هاتفهم الوحيد بجانب تلك النيران، فيخطف «حلمي مهران» نظرة إليها لاحظها «حاتم»، قبل أن يلتف مكملاً معهم، غير مكترث لمصير تلك الحقيبة التي بدأت النيران تطولها شيئاً فشيئاً، بينما يظل «حاتم» يرمق الحقيبة، تأكلها النار وتحترق، ثم يقترب منها ليفكر في نجدتها قبل أن يمنعه صوت سفينة ما، صوت سارينة كتلك الموضوعه على السفن تصدر نشار أصواتها من مكان ما...!! ليقشعر «حاتم» وبتسم متخلياً عن تلك الحقيبة بجانب النيران التي يراها قد ابتلعته وبتوجه إلى المياه باحثاً عن مصدر الصوت، فتلامس قدماه المياه، بينما من خلفه تظهر حقيبة «هدى» والنيران تلتهمها.

من بين جنبات هذا الليل الضخم بوسط الجزيرة البكر وقف البقية من أمام جثة «عاصي» وتلك الحقنة داخل وريده، لتستدير «فرح» هرباً من المشهد، ذرعها القيء، سعت لتتمالك نفسها ولتسمع موسيقاها واطعة إياها في أذنها، ثم بدأت ركضها الرياضي هرباً من الموقف، بينما جثا «سيف» ممسكاً بالحقنة.

- ده انتحر مامتش عادي....

- لآ ده مات من جرعه زياده أكيد.



تعلق «جميلة» بينما تظهر «هدى» وهي مستمتعة بمراقبة ردود أفعالهم ليحاول «حلمي مهران» هو الآخر فهم رد فعل تلك المريضة الغريبة في حين يُجوّد «سيف»:

- ما هو لما واحد مبطل بيرجع بجرعه زي دي، بيبقى عارف إنه بينتحر.

- وهو جاب منين أصلاً الحقنه دي؟!

تساءلت «جميلة» لينظر «سيف» إلى «حبيب» في شك.

- هو مين آخر واحد كان معاه؟!

- بتبصلي كده ليه؟

يجيب «حبيب» متلعثمًا مختلطًا أمره:

- أكيد كان مخبي الحقنه معاه.

- ما «أشرف» مفتشنا كلنا.

يعلق «سيف» ناظرًا إلى «حلمي مهران»:

- إنت كمان مكنتش معانا.

يمسك «حلمي مهران» بمكعب «روبيك»، لتجيب «هدى» مدافعة عنه:

- «حلمي» كان في الخيمه.

مكث «حلمي مهران» يرمق «هدى»، بينما توجّهت إليها «جميلة» بالحديث معاتبه:



- كله منك انتي.. حرام عليكى.

- مش وقته الكلام ده يا «جميلة»..

- وهي الدكتور «هدى» مالها بس؟...

يعلق «حبيب» متدخلًا:

- مش هي اللي جابتنا هنا، وأعدت تضغط على الواد لغاية

ما انفجر؟

تدخل «سميحة» شارحةً:

- يا جماعه ما هو حاول ينتحر كثير قبل كده.

- طيب اشمعنى هنا يعني؟! ما كان قدامه الدنيا كلها!!!

تعلق «جميلة» متحيرةً، ليتدخل «سيف» مُلطفًا:

- خلاص يا جماعه ده قضاء ربنا، إحنا نرجع نتصل بـ

«أشرف» يجي وبجيب البوليس ويخرجنا من المصيبة دي.

- بس دي هاتبقى فضيحه.

متخوفًا «حبيب» يقولها، لتوضِّح «هدى»:

- أنا آسفة بيبي، فعلاً مفيش حل تاني، دي مسؤوليه، ولازم

نبلغ!

لبث «حلمي مهران» يرمق «هدى» لا يزال يحاول فك

تصرفاتها، للحظات وقف يحد النظر فيها بينما سبقت بصيرته

إلى تلك النيران يشاهد انعكاس النار على وجهها تزيد من قدح

ذهنه، فتعينه على استقراء ما في مخها!!



فمن أمام حقيبة «هدى» المحروقة كان الجميع قد عادوا واقفين يتأملون «حاتم» الشارد للبحر مستمتعًا بسيجارته، لينهره «سيف» معاتبًا:

- إنت إزاي يا بني آدم ما تلحقش الشنطه؟!!

- دي فيها التليفون الوحيد اللي معانا..

تقولها «هدى» لائمة أيضًا حال «جميلة» وقد بدأت إظهار بذاعتها قائلة:

- إنت مشلول ولأ متخلف؟!!

لا يعيرهم «حاتم» أي اهتمام، بينما «حبيب» كاف إياهم عن التملل والتولول، يقول:

- كفايه صريخ، خلونا نفكر إيه الحل دلوقتي!

- معرفش، بس من غير تليفون مش هانعرف نوصل لحد.

قالتها «هدى» لتسألها «سميحة».

- طيب هو «أشرف» مش هايجي يطمئن علينا؟

- «أشرف» عارف شغلي، ومش هايجي غير في اليوم الرابع.

- يعني إيه؟! هانفضل هنا مع الجته دي ثلاث أيام، الجته

مش هاتستحمل كل ده.

قالتها «سميحة» ليظهر التوتر على ملامح الجميع، حتى

كادوا يبللون سراويلهم، قبل أن يتدخل «سيف»:

- يبقى مفيش غير حل واحد..

قالها وقد كان، فإكرام الميت دائماً دفنه، ليبدأ «سيف» مع «حبيب» بهمة وعزيمة وتحت جناح الظلام يحفران قبر «عاصي» من عمق الجزيرة بينما كان «حلمي مهران» يقف أعلى.

- إنت مش هاتحفر معانا يا عم انت؟!!

تساءل «سيف» في غضب، ولكن «حلمي مهران» أبقى أن يجيب من أعلى ليتحرك بعيداً، ليعلق «حبيب»:

- كمل كمل يا عم.

كان «حلمي مهران» يتحرك من أعلى القبر وكأنه منوم مغناطيسياً متجهاً ناحية الشاطئ، ليلاً بالعراء، قبل أن تحدثه «ماجي» من خياله متسائلة:

- فين يا «حلمي»؟

مشدوهاً من تواجدها يندهش «حلمي مهران»:

- «ماجي»!!

- أيوه، كنت فاكربي مين؟

يحاول «حلمي مهران» الإمساك برأسه، ثم يبحث في جيبه عن المورفين، لتسببه من خيال عقله المريض.

- بتدور على المورفين؟

- ما «أشرف» خده.

أجاب «حلمي مهران»، ثم تابع متسائلًا:

- إنتي هنا؟

- لا، أنا في دماغك يا «حلمي».

يمسك «حلمي مهران» رأسه مرة أخرى، لتتابع هي بالحقيقة التي يعرفها عن ظهر قلب:

- كلنا في دماغك.

- يعني إنتي سراب؟!

- لا، أنا حقيقه، كلنا حقيقه.

- عايزه إيه؟!

- عايزاك إنت، كلنا عايزينك إنت.

بصدق قالتها قبل أن تسأله السؤال الأهم في عقله:

- بس المهم إنت بقى عايز مين يا «حلمي»؟! ربحنا بقى

وقولنا إنت اخترت مين؟!

ينظر «حلمي مهران» أرضًا في تردد:

- مش عارف!

يقولها ثم يرفع رأسه ليجد «ماجي» قد اختفت فيبتسم متقبلًا جنونه، لتتابع سيره شروذًا مبتعدًا عن هذا القبر الذي كاد «سيف» و«عاصي» ينهياه، قبل أن يخرجوا من الحفرة، ليمسكا سويًا بجثة «عاصي» بها في الحفرة، التي كانت «هدى» تقف خارجها، بينما من جانبها تحركت «جميلة»



و«سميحة» مبتعدتين عن المنظر!!

خطوات ظلت كل منهما تخطوها بين الأشجار حتى تفرقتا،
لتجد كل منهما وحيدة فجأة فيزداد هلع «جميلة» الآن وتبدأ
بالصياح:

- إنتوا فين؟!!!

لا يجيبها أحد؛ فتزداد توترًا وتسرع، قبل أن تجد من أمامها
ظل هذا الرجل الذي تعرفه جيدًا.. أجل إنه والدها من خلفها
يهرع إليها، مزيدًا من خوفها، فتبدأ بالجري والهرولة وهي
تلتفت إلى الخلف فتتعرقل وتسقط، فإذا بها قد وقعت تحت
أقدام شخص ما يتسم إليها.....

لدى الشاطئ ظل «حاتم» متوقفًا في المياه ينظر إلى البحر
نظرات غريبة، حيث كان البحر نداهته، يناديه فيترك له
العالم، فلكل منا نداهة تتحكم في قلبه وتنسيه عقله، قبل
أن يسمع صوت جرس عجلة أطفال، ليلتف فجأة، فإذا به هذا
الطفل الذي يعرفه «حاتم» جيدًا، يمتطي دراجته بحرفية وسط
الجزيرة، ليحاول «حاتم» اللحاق به ولكنه يسرع أمامه بدراجة
صغيرة، ليتابعه «حاتم» بصعوبة نظرًا لعكازه، قبل أن يصطدم
بـ «سميحة» التي بدت خائفة هي الأخرى:

- في إيه؟! ماتخوفنيش...

تقولها «سميحة» متململة، ليظل هو يرمق الطفل من خلفها.

- شايفاه؟



تساءل «حاتم» مشيرًا إلى خلف «سميحة» التي تساءلت هي أيضًا:

- هو مين؟!

- الولد اللي هناك ده.

قالها «حاتم» مكرراً إشارته إلى خلف «سميحة» التي التفت، لتندهش، إذ المكان كان خالياً تماماً، ولكن «حلمي مهران» كان هناك على عدة خطوات، ولكن شاهد للتو هذا الطفل على دراجته، ليشارك «حاتم» رؤياه كما سيفعل مع الجميع، ليعود «حلمي مهران» بالنظر إلى «سميحة» ليجدها شاردة هي الأخرى في النظر إلى مكان آخر، فيلتف ليجد ابنها هناك يرتدي ملابس المستشفى وهو ممسك ببالون صغير، لتقع «سميحة» أرضاً، متأثرةً بمشهد وليدها، ليتأثر «حلمي مهران» الذي استطاع رؤية ابتسامة هذا الطفل حليق الرأس الذي اختاره ربه، ليعطي البقية درساً يصعب تجاهله.

من على بعد عدة خطوات عادت «جميلة» إلى رشدها بعدما تعثرت أرضاً من أمام أقدام شخص ما يحاول الآن مساعدتها، بينما هي لا تزال تحاول إدراك واقعها من أثر الوقوع، لتنظر إلى أعلى في توتر وخوف تترقب الأقدام التي وقعت عندها، فوجدتها أقدام «فرح» التي هوت لتساعدتها على الوقوف، حتى هدأت!

- «فرح»!!

ارتاحت «جميلة» وذهبت في محاولة لضم «فرح»، ولكنها



رفضت بشدة، بادياً عليها الضيق والتبرم، ولكنها ساعدت «جميلة» لتتابع معها العودة للشاطئ،؛ بينما من على بعد خطوات قليلة في هذه الليلة العصيبة كان «حبيب» قد أنهى للتو مع «سيف» تطويب القبر واضعاً بعض الصخور فوق الرمال، ليجلس مرهقاً قبل أن يستوقفه «سيف»:

- بتعمل إيه؟! -

- إيه باخد نفسي، معلش أول مرة أدفن قتيل..

- طيب مش هانصلي على الراجل؟

يتأفف «حبيب»، بينما تنسحب «هدى» لتتركهما أخيراً
قائلة:

- طيب صلوا براحتكوا.. أنا هاسبقكوا أظمن على البنات.

يومئ «سيف» برأسه، لينظر إلى «حبيب».

- عارف بتصلي إزاي؟

ينظر «حبيب» أرضاً ليعلق «سيف»:

- لا حول ولا قوة إلا بالله.

يقولها ثم يبدأ شرح الصلاة، التي أداها في دقائق قليلة حتى أنهاها.

- السلام عليكم ورحمة الله، السلام عليكم ورحمة الله.

من جانبه رشق «سيف» «حبيب» بنظرة شك، ثم تحركا سوباً
بضع خطوات، حتى توقف «سيف» عندما شاهد ثلاثتهم يقفون

وسط الأشجار يرتدون الزي الأحمر كالمعدومين، ليظل في حالة صدمة! ليسأل «حبيب في خوف:

- هو انت شايف اللي أنا شايفه؟!

لبث «حبيب» مليًا ينظر إلى المكان في صمت، فقد كان خاليًا:

- شايف إيه؟!

تساءل «حبيب» بينما كان ثلاثتهم الآن واضحين إلى عين «حلمي مهران» الثالثة حيث كان يراقب المشهد، ليظل يرمق ثلاثتهم وهم مرتدون الملابس الحمراء يتوقفون والدماء تغطيهم حتى تسربلوا!

شرد «حلمي مهران» في المشهد السريالي قبل أن ينتبه إلى الدكتورة «هدى» التي كانت هي الأخرى تراقبه من جانبه قبل أن تنسحب.

يتحرك كل منهما في طريق عودته، في غياهب الليل من داخل عمق الجزيرة، ليظل «حلمي مهران» يتقدم وييده مكعب «روبك» ليحركه بعض الحركات، فأنهاه بخطف الخطفة، قبل أن يسمع صوت «هشام» فجأة من أمامه.

- أفندم يا «حلمي»؟

- إنت كمان؟!

تساءل «حلمي مهران» بينما أشار «هشام» لمكعب «روبك».

- ما انت اللي ندهتني .

وضع «حلمي مهران» المكعب في جيب سترته الجلدية
قائلًا:

- عشان تيجي تشوف اللي بيحصل هنا، مش ده شغلك؟

يبتسم «هشام» متهكمًا:

- شغل؟! هو انت مصدق إننا بنعمل ده عشان شغل؟ مش
دورنا نصلح الدنيا يا «حلمي»، لو فاكر إن الدنيا ماشيه كويس
بيننا تبقى غلطان، الدنيا ليها رب خليه يشوف شغله وخلينا
نشوف شغلنا.

- يمكن رينا سخرني عشان أبقى سبب.

- يمكن بس ساعتها دي هاتبقى قضيتك انت يا «حلمي»،
وأنا لو ساعدتك النهارده مش هابقي معاك بكره، كل واحد
فينا ليه سكه.

- وانت اخترت سكتك؟

تساءل «حلمي مهران» ليجيبه «هشام» بالإيجاب:

- أنا اخترت ومستنيك توسعلي الطريق يا «حلمي».

قالها «هشام» مشيرًا إلى حبه لـ «ماجي»، ليجيبه «حلمي
مهران»:

- أنا مفيش بيني وبين «ماجي» حاجه.

- مع إنها لسه قايلالك العكس.

علق «هشام» مشكًا، ليتابع «حلمي مهران»:

- مش ذنبي.

- غلطان، ذنبي وذنوب «ماجي» في رقبتك يا «حلمي».



(04)

من خارج المخيم والليل قد أرخى ستاره جلست «جميلة»
بجوار «سميحة» يرمقان «حاتم» لم يبرح مقعده أمام النيران
بعد، بينما كانت «جميلة» مرتابة تقول:

- أنا قلبي مش مطمئن للراجل ده، وحاسه إنه حرق التليفون
قاصد!

لم تجب «سميحة» الشاردة المرتدية تلك السترة الزرقاء
المميزة تحتمي بها من البرودة، لتكرر «جميلة» في سخط:

- هو انتي كمان اتخرستي؟!!

على مضض، تجيبها:

- وهو هايحرقه ليه بس يا «جميلة»؟! ده غلبان وزى ما انتي
شايفه شبه مشلول!!!

- وانتي مصدقه إنه مشلول؟ ده شكله وراه حاجه كبيره، بكره
تشوفي!!!

ترمق «سميحة» «حاتم» مندهشة حالما كان الأخير شاردًا
في ملكوته كما يدعي، بينما ظهر للتو «سيف» مع «حبيب»
في عودتهما قاطعين قدرًا لا بأس به من بطن هذه الجزيرة
المعتمة، فيلمح «حبيب» السيدات عند خيمتهن فيتمعن النظر
في «سميحة»، وحينها «سيف» أخذه الغضب كل مأخذ، فأنشأ
يتمتم ويبرطم:

- أستغفر الله العظيم، أنا هادخل أصلي.

يظل «حبيب» منتصبًا بالخارج يراقب «سميحة»، قبل أن
تصل بعدهم «هدى» إلى السيدات، لتقف «جميلة» مهتاجة
على «هدى» فور وصولها!

- هو إيه اللي بيحصلنا بالظبط على الجزيره هنا؟!

- هو إيه اللي حصل؟!

أجابت «هدى» ببرود بينما يقترب منهما «حبيب» في فضول
ليستمع إلى غضب «جميلة»:

- يا برودك يا شيخه! إحنا مش لسه دافنين قتيل؟!

- دي مجرد حادثه.

تقولها «جميلة» معترضة:

- واللي شوفناه؟!

تتساءل «جميلة» لتعلق «هدى» في خبث:

- شوفتي إيه بالظبط؟!!

تسكت «جميلة»، لتتدخل «سميحة» دون حرج:

- شوفنا كوابيسنا يا دكتور.

يتدخل «حبيب» الذي بلغ باب خيمتهن مدافعًا عن «هدى»:

- طبعي جدًا يا جماعه من التوتر والتعب.

- هو التوتر المفروض يخليني أشوف....

كادت «جميلة» تفصح عما شاهدته، قبل أن تتدخل
«سميحة» مرة ثانية، وهي تقول:

- أنا طول عمري بشوف إبني..

ترد «هدى»:

- إنتوا محتاجين تستريحوا، اليوم كان صعب وطويل.

تتعجب «جميلة» متسائلة:

- نستريح؟!!

- عندك حق يا دكتور، عن إذنكوا أنا.

بأسلوبه المهذب يودعهم «حبيب» ويتجه إلى الشاطئ، لتتبع
«هدى» نظرة «سميحة» له قبل أن تسأل عن «فرح»:

- هي «فرح» فين؟

- جوا.

تجيب «سميحة» وهي تراقب «حبيب» المتوجه إلى الشاطئ
بجانب «حاتم»، لتعلق «هدى» بدهاء:

- طيب هاخش أطمئن عليها، أكيد هي أكثر واحد محتاجاني
النهارده.

لم يجيبا لتدخل «هدى»، بينما من بعدها تتوجه «جميلة» إلى
«سميحة» بالحديث:

- يالا نخش معاها لاتعمل حاجه في «فرح» أنا مابقتش
مظمنالها.

تسكت «سميحة» التي ظلت شاردة ناحية «حبيب» لتعقب
«جميلة»:

- هو لطيف الصراحه، بس راجل، يعني مش هايتخير عن
جوزك، كلهم أندال...

تقولها «جميلة» ثم تتركها لتتجه إلى خيمة السيدات حيث
كانت «هدى» في الداخل تسأل «فرح» وهي تجلس أمامها:

- «فرح» إنتي كويسه؟

لم تجبها، لتخرج «هدى» حبوبًا تناولها «فرح» في لحظة
دخول «جميلة»

- إنتي بتديها إيه بالضبط؟!!

تقف «هدى» في تحدٍّ أمامها:

- هو انتي ناسيه إني الدكتوراه اللي اختارتوها عشان
تعالجكوا ولا إيه؟!!

تتجه «فرح» ناحية «هدى» وتأخذ منها الدواء في رضا تام،
لتخرج «جميلة» حالما تبتمس «هدى» لخضوع «فرح» المعتاد،
قبل أن تتوجه الأخيرة إلى سريرها، لتعطيهم ظهرها، وبعد أن
ألقت نظرة إليهم راحت تستجدي النوم ليأتي، عله يلم بفراشها
إمامًا؛ فتكتحل عيناها من السُّهاد مغمضة!

بينما تمددت «هدى» من بين الظلام وهي مشعلة شمعة تقرأ
على ضوءها الملفات الثمانية التي كانت في حقيبتها، بينما
تراقبها «جميلة»، قبل أن ترتسم ابتسامتها لتطفئ الشمعة



أخيراً.

من الخارج كانت «سميحة» عند الشاطئ تقترب ناحية
«حبيب» في فضول.

- هو أنا ماشوفتكش قبل كده؟!!

ينظر «حبيب» إليها مبتسماً، لتتابع هي بحدسها الصادق:

- ملامحك مش غريبه عليا!!

- يخلق من الشبه أربعين.

- لآ، صعب ملامحك دي تتكرر...

تقولها لبيتسم «حبيب» لتخرج «سميحة» موضحة:

- قصدي إن ملامحك مريحه!

- إنتي شايفه كده...؟!!

- أنا مش شايفه، أنا حاسه.

تقولها «سميحة» وهي تضع يدها على قلبها، لتلامس
أناملها غرز صدرها التجميلية التي لاحظها «حبيب» من
أسفل سترتها الزرقاء تلاحظ من لمحة عينيه، فتغلق سترتها
متسائلة:

- مقولتليش بقى حكايتك إيه؟!!

- مش عايزه تسمعيها مع الناس؟!!

بخجل تتساءل:

- ممكن أسمعها لو حدي الأول؟

- أكيد، أنا أصلاً نفسي أحكيها لك إنتي لو حديك.

بحب صادق قالها لتصل إليها كلماته.

- إسمعني؟!!

- معرفش يمكن عشان بتفكريني بيها..

يقولها «حبيب» شاردًا بحساسية ومشاعر فياضة لتلاحظ

«سميحة» متسائلة في فضول:

- هي مين؟!!

يلتفت «حبيب» برأسه ليكشف بعينه المكان.

- متأكده إنك تقدري تسمعي في الظروف دي؟!!

باندهاش واضح:

- أنا شخصيًا مستغربه أنا إزاي متماسكه، ومستغربه أكثر

الفضول اللي عندك رغم اللي حصل!

- أنا كمان مستغرب، وعارف إنك مش هاتصدقيني.

- جرب.

- أصلي حاسس إنني عايز أحكيك إنتي كل حاجه في حياتي.

- هاتصدقني لو قلتك إنني مصدقك، وعايزه أسمعك؟

صدقها قبل أن تكمل هي تساؤلها.

- هو انت مين؟!!

يبتسم «حبيب» ويبدأ:

- أنا «حبيب».

يقولها، لتبدأ قصة الحب تلك في الميلاد بكل صدق رغم كل المخاطر، فالحب كالجنين، لا يستطيع الانتظار فور اكتماله، بل يخرج للنور ولو كره الكارهون، فإرضًا نفسه على العالم كالطفل البريء الذي أذن الله له في الحياة، ليعيش في الأرض بين العباد، كل منهم حسب عمره، يومًا أو بعض يوم، أو قد يكون محظوظًا ليستمع عقودًا عديدة، ولكنه في النهاية ينتهي مع توقف نبض كليهما، لينتظرا إذن الكريم لإعادة ما في قلوبهما من رحمة في عالم آخر.

من بعيد كان «حلمي مهران» يراقب هذا الحب الذي يولد مبتسمًا، فلقد كان يستشعر هذا الجنين بالفعل، قبل أن يتحول بنظره جهة «حاتم» المستلقي على الشاطئ ثم ناحية الخيمة، ليتقدم إليها قبل أن يتوقف بعد عدة خطوات حيث بدأ يحصي ستة من معارفه يظهرون من خلف الخيمة، إنهم تلك القلوب المحطمة، جاءت لتعابه في تلك الجزيرة، فلقد كان لكل منهم جنين جاء ليدافع عنه، «ماجي» و«هشام» و«حنان» و«وعد» و«فؤاد» و«حنان» و«تيم».

يظهرون ليبدأ حساب «حلمي مهران» الذي ظل حتى فجر يوم جديد، وسط سكون ليل الجزيرة، هذا الذي يشبه الموات التام مع نوم أغلبهم. ومن بين هدأة الليل وسكونه تدب حركة على

استحياء تخشى أن يفضحها هدوء الهاجعين، وكأنها خطوات
لشخص ما يجوب المكان ليلاً بعد منام الجميع، مروراً بخيمة
الرجال التي لا يبدو فيها إلا «سيف» الآن!! ثم إلى خيمة
السيدات، حيث ينام أربعتهن، قبل أن تنبذ لهم «سميحة»
والتي فتحت عينيها، قبل قليل لتقوم بتحدٍ جديد!!

من على تلك الجزيرة التي تن ظلمًا مما أرتكب على
ظهرها، تكفكف دموعها، وتناهب ليوم جديد راضية بقدرها
بينما كان دفينهم قد خرج من مرقدته تحت ترابها لم يبرد دمه
بعد، وروحه لا زالت في سمائها حضرت غربان سيئة الذكر
تنقر روح المسكين المسالم هذا، خالقة فوضى عارمة وقت أن
أشرق الصباح نابذاً عنه لباسه، وإذ انتشرت أول خيوط ضوئه
هاهي جميلة بباب الخيمة خارجها تنادي «سميحة»:

- «سميحااااا»

قالتها وهي تبحث عنها، فقد اختفت ليلة أمس بينما كلُّ في
عالمه، لتقترب الآن «هدى» من «جميلة» في توتر متسائلة:

- لسه ملاقيتهاش؟

- والله إنتي السبب في اللي بيجرالنا!

علقت «جميلة» كعادتها بينما من خلفهما ينتبذ «حبيب»
مرهقاً، يترنح يفرك عينيه قد استيقظ للتو:

- في إيه؟ فين «سميحة»؟!!

- معرفش، صحينا ملاقيناهاش.

- يعني إيه؟! هي مش كانت نايمه معاكوا؟!!

تساءل «حبيب» لتجيبه «جميلة»:

- أيوه والله، بس صحينا ملاقينهاش.

يظهر التوتر الصادق على «هدى» التي غزاها التوتر،
وعصفت بكيانها الحيرة، وهي ترى الأمور تخرج عن سيطرتها
بالفعل لتقول:

- أكيد هاتبقى هنا ولأ هنا، دوروا كويس، هاتروح فين يعني؟!!

ردت «جميلة» تنهرها في اللحظة التي وصل فيها «سيف»
هو الآخر:

- ما كفايه أوامر بقى، يا وش المصايب!!

يتدخل «حبيب»:

- مش وقته الكلام ده دلوقتي.

- هو في إيه بالضبط؟ وفين «حاتم»؟!!

يتساءل «سيف»، لتتساءل «هدى»:

- هو مش في الخيمه عندكوا؟!!

- لأ «حاتم» مانمش معانا أصلاً.. ولا حتى «حلمي».

يقولها «حبيب» ليزداد توتر «هدى» مختلطاً أمرها:

- يعني إيه؟!!



- معرفش، يمكن يكون اتحركوا سوا!

يقولها «حبيب» مجيبًا، ليتهاكم «سيف»:

- يعني هايكونوا راحوا يفطروا برا؟!!

- طيب سألتوا «فرح» عن «سميحة»؟

يتساءل «حبيب»، لتصرح «جميلة»:

- ما هي ولا بتهش ولا بتنش!

- سيبوني أنا أسألها.

تقولها «هدى» وتتوجه إلى «فرح» داخل خيمة السيدات،

ليلحقها «حبيب» مع «جميلة»، لتبدأ «هدى» أسئلتها:

- «فرح» أرجوكي تساعدينا، إنتي كنتي زمان بتكلميني...

فاكره؟!!

تومئ «فرح» بالإيجاب، فتسألها «هدى»:

- طيب لو سمحتي بقى قوليلي، إنتي شوفتي «سميحة»؟

مجددًا تومئ بالإيجاب، لتبتسم «هدى» وتكمل:

- حلو.. فين وإمتي بالضبط؟

هنا تسكت «فرح» لتفعل «جميلة»:

- يا بنتي ما تنطقي بقى قبل ما «سميحة» تضيع!!!

تتوتر «فرح» وترتجف، لتوبخها «هدى»:

- إنتي بتعملي إيه؟! لو سمحتوا سيبوني معاها لوحدي.
يخرجون لتكرر «هدى» محاولاتها، فيظهر توترها الحقيقي..

- يا «فرح» اتكلمي هو انتي اتخرستي بجد؟!

تقولها إذ تدفعها للخلف؛ الأمر الذي أدى إلى إعادة
تشنجها، دون أن تكثر «هدى»، بينما من الخارج على
الشاطئ وقد انشق النهار، قام «سيف» ينتظر أن يجتمع بهما،
وحالما بلغ مجعهما سأل:

- عرفتوا حاجه؟

- لأ.

نافية أجابت «جميلة»، فمتعجلاً يرد «حبيب»:

- إحنا لازم ندور عليهم، الجزيرة كلها قد كده.

يشير محلقاً يده مشبهاً كحلقة دائرية، ليؤكد «سيف»:

- عندك حق مش هانخسر حاجه، كل واحد يدور في اتجاهه.

- ماشي واستني انتي يا «جميلة» هنا.

قالها حبيب، فردت:

- ليه يعني؟! هو أنا صغيرة؟! ده أنا بميت راجل.

يبتسم إليها «سيف» باحترامٍ لاحظته، ثم تحرك خلف
«حبيب» قبل أن يظهر للتو «حلمي مهران» من بعيد يقترب،
فيبتدره «حبيب» متسائلاً:

- كنت فين؟!!

لم يجبه «حلمي مهران»، لتعقب «جميلة»:

- مش وقت طريقتك دي!

في هدوء يسأله «سيف»:

- «سميحة» و«حاتم» كانوا معاك؟

يقترّب منه «حلمي مهران» ثم يصوب بصره إلى «حبيب»
قائلًا:

- لاء.

يشعر «حبيب» بالتوتر فيتلعثم، بينما تسقط «جميلة» عليه
سقوطًا مباشرًا:

- يا عم ما ترد علينا، إحنا مش لاقيين الناس.

- هايكونوا فين؟! الجزيره صغيره.

يقولها «حلمي مهران» خافيًا ما يعلم، ليتابع «سيف»
متبرمًا:

- يا عم أنا هاروح أدور عليهم.

يرمق «حبيب» «حلمي مهران» في توتر، ثم يتبع «سيف»:

- أنا كمان هادور عليهم..

- وأنا كمان، أنا مش ناويه أستنى هنا.

تقولها «جميلة» وهي تُشيع «حلمي مهران» بنظراتها القاتلة،

ثم تتحرك لتتبعهم، بينما يظل «حلمي مهران» يراقب تلك الخيمة للسيدات!

ليتجه إليها ويفتح الخيمة، ليجد «فرح» هناك وحيدة، فيتحرك ببطء من خلفها، قبل أن يلاحظ من خلفه أن هناك فتحة أخرى مفتوحة، فيدفعه الفضول للذهاب!

من هناك يظهر المكان خاليًا ولكنه يستطيع بالفعل رؤية الحركة التي كانت منذ قليل فيتبعها، فلقد كانت هي «هدى» تتحرك في عمق الجزيرة المملوءة بالوقائع، التي يستجمعها «حلمي مهران» الذي ما انفك يتبع رؤيا مهزوزة نوعًا ما، حتى وصل إلى هذه البقعة التي كانت فيها «هدى» تقف بتوتر تبحث عن الموضوع الذي خبأت فيه هاتفًا آخرًا! لتتأكد من خلو المكان من جمعهم، غير منتبهة إلى «حلمي مهران» الذي أعطته بصيرته القدرة على الرؤية رغم بعده عنها، لتجتو «هدى» أرضًا وتخرج الهاتف وتنفضه، قبل أن تجري اتصالًا بـ «أشرف» الذي كان يتحرك باليخت يمخر البحر رفقا رفقا، وصوت محركه مع صوت الماء يتتابعان دوايك دوايك متناغمين عزفاً، وهو يلقي نظرة إلى هاتفه ليجيب مندهشًا من قلق «هدى» البالغ من أمام عين «حلمي مهران» المتواري عن الأنظار وإن ظل يراقبها.

- أيوه يا «أشرف» هو انت شوفت «سميحة»؟

من المركب يجيبها «أشرف»:

- وأنا هاشوف «سميحة» فين؟! أنا جيت بعد الفجر على

اتفاقنا، أخذت حاجتي ومشيت.

- يعني إيه؟! دي اختفت من على الجزيره، «حلمي مهران»
و«حاتم» كمان مش موجودين.

- إزاي يعني؟! هو في حد غيرنا بيلعب بينا ولا إيه?!!

يقولها «أشرف» مندهشاً مثبوراً:

- أنا محدش يقدر يلعب بيا يا «أشرف».

تجيب «هدى» بقوتها المعهودة التي تثير حفيظة «حلمي
مهران» قبل أن تتابع:

- أنا من الأول مكنتش مستريحه للمرا دي، مش انت اللي
قلت محتاجه تجربه أخيره؟...

- أيوه، كان المفروض المرا دي كل حاجه تمشي صح، بس
في حاجه غلط..

- لآ، بقولك إيه اهدي كده إحنا هانكمل شغلنا زي ما اتفقنا،
إنتي تشوفي تجارك وأنا أشوف أكل عيشي!

- حاضر يا «أشرف» أنا بس مش عارفه أفكر.

تقولها «هدى» قبل أن تسمع صوت شيء ما خلفها، لتلتفت
فإذا بها «فرح» تنظر إلى هاتفها في اندهاش بعدما ادّعت
«هدى» أن الهاتف الوحيد قد احترق! لتغلق «هدى» الهاتف
بسرعة كمن ضُبطَ متلبساً، بينما من على اليخت تعجب
«أشرف» من انقطاع الخط، ليضع الهاتف في جيبه، ثم استدار
ليتفاجأ بوجودها أمامه، نعم، إنها بالفعل «سميحة»!!



لا يزال الجميع تحت سقف تلك الجزيرة التي يعمها الجنون،
 فها هو «سيف» يرمق قبر «عاصي» مندهشاً مما رآه، بينما
 «جميلة» قد وجدت تلك السترة الزرقاء على الشاطئ،
 و«حبيب» من الجانب الآخر يلفت انتباهه تلك الدراجة الصدئة
 التي كان يراها «حاتم»، ليتفقدتها لحظات، قبل أن يجد من
 على بعد عدة خطوات «حاتم» منبطحاً على وجهه مبللاً
 بالمياه، فيدع الدراجة مقترباً منه ليدير وجهه ليجده معفراً
 ملطخاً بالدماء والرغام، بينما «حلمي مهران» لا يزال يراقب ما
 حدث، فما برحت «فرح» متسمة في مكانها، و«هدى» تحاول
 الاقتراب منها، إذ تقول:

- أنا الحمد لله لقيت تليفون تاني واتصلت بـ «أشرف»
 وهايحي يا «فرح» ماتخافيش... صدقيني يا «فرح».

لم تصدقها «فرح» بالطبع، لتبدأ في الركض، لتضع «هدى»
 الهاتف في مخبئه ثم تحاول الركض خلف «فرح» لتوقفها،
 بينما «حلمي مهران» في الخلفية يتابع هذه الأحداث، ليستغل
 الموقف ويتجه إلى هذا المخبأ ليخرج الهاتف مبتسماً،
 تاركاً «هدى» تحاول اتباع «فرح» التي كان الركض هوايتها
 الرياضية، ليظهر فرق السرعة الرهيب، حيث تحاول «هدى»
 يائسة اللحاق بها دون جدوى لتمسك قطعة من الحجر لتحاول
 رميها على «فرح» التي بدت قدماها تتبادلان الخطى، فمن
 تقارب إلى تباعد أخذتا تتسارعان، تعلوان وتهبطان فوق
 الحشائش وعوائق الجزيرة من أغصان شجر وطنين! لحظات

رياضية خاطفة ذكرت هذه المرأة الرياضية الآن بما كان منها من قبل، من بطولات خارقة بصالة التدريب، حتى وصلت «فرح» أخيرًا إلى الشاطئ حيث كان «سيف» قد عاد لتوه من عند قبر «عاصي» متبرمًا قبل أن يلاحظ «فرح» التي جاءت تهرع ناحيته مفزوعة والدماء تسيل من وجهها أثر إصابة ما، فيهرع إليها هو الآخر في شهامة، آخذًا بها لتظل هي في تشنجها، بينما من الخلف وصلت «هدى»، لينتبه لها فيجذب «فرح» من ملابسها لتحتمي خلفه ويقترّب هو بخطوة جريئة ناحية «هدى» التي توقفت من فورها وألقت الصخرة التي بيدها، لتلتقط أنفاسها بصعوبة لتقول:

- أنا... أنا كنت بدور على «سميحة»، وبعدين «فرح» خافت وجريت.. صح يا «فرح»؟

ظلت «فرح» ساكنة، لتتابع «هدى» في خوف:

- أنا ملمستهاش والله العظيم، هي أكيد وقعت.. ما تتكلمي يا «فرح»!!

لم تنبس «فرح» ببنت شفة، بل اكتفت بالإمساك بجرح رأسها والإشارة إلى «هدى»، ليكتفي هو بتلك الإشارة ويباغت الأخرى مقتربًا منها وهو يهيمُّ بها، ليقد «هدى» من فوره، بينما ظلت هي تقسم أنها لم تصب «فرح» وأنها من جرحت نفسها لتخدعه، إلا أن «سيف» صدق براءة «فرح» عن شر «هدى».

من بعيد تظهر «جميلة» وهي عائدة ممسكة بسترّة «سميحة» الزرقاء في ألم حتى وصلت إلى «سيف»، فأصابها

الوجوم مما شاهدته لتساءل:

- هي عملت إيه بالظبط بنت اللذينه دي؟!!

قالتها بالتفاتة عاجلة إلى الورااء حيث كانت الدكتوراة «هدى»
مقيدة أرضًا بحبل متين، تدل على قوة «سيف» لتقول:

- فكوني أنا معملتش حاجه أصلًا بقولكوااااا...

- اسكتي خالص، إنتي أصلًا سبب كل المصايب دي!

تقولها «جميلة» فيعلق «سيف»:

- أنا معرفش بالظبط، «فرح» مش عايزه تتكلم، بس أديكي

شايفاها..

تنظر «جميلة» إلى «فرح» المصابة، قد وضع «سيف»
قماشة على جرحها، لتساءل:

- وهو مين اللي داوى جرحها كده؟!!

- أنا.

بحرج يقولها «سيف» وينظر أرضًا خجلًا، بينما تبتسم له
«جميلة» قبل أن يلاحظ هو سترة «سميحة» التي بيدها،
فيدنو منها، بينما تستمتع هي بقربه بطريقة مفاجئة، فقد بدأت
تدغدغها حرارة أنفاسه، وليمسك «سيف» بالسترة متسائلًا..

- غرقت؟!!

تومئ له «جميلة» بالإيجاب، لتتدخل «هدى» شامته:

- زي ما كلكوا هاتغرقوا من غيري لو مافكيتونيش.



- كله منها، منك لله يا شيخه.

قالتها «جميلة» وهي تدنو من «هدى» المقيدة منتهرةً إياها، ليتدخل «سيف» ممسكاً إياها، لتنهره هو الآخر عائداً إلى طبيعتها الانفعالية:

- إوعى تلمسني، إنت مجنون!!!

- أنا آسف..

يقولها «سيف» قبل أن يلاحظ «حبيب»، يقترب حاملاً «حاتم» ليسرع إليه في اندهاش مع «جميلة»، يساند «سيف» «حبيب» الذي أرهقه وزن «حاتم» ليجلس به من فوره، وهو يسأل:

- حصل إيه؟!

- معرفش، لقيته زي ما انت شايف كده، في وسط الميه!

- ده سايح في دمه!

قالتها «جميلة» ليقرب «سيف» من «حاتم»، متفقداً جرحه، ليجدها مجرد كدمة فحسب، ليزدجر «سيف»:

- بس صعب يكون كل ده دمه!

تتدخل «جميلة» وقد تفتق ذهنها عن مؤامرة:

- يبقى أكيد عمل حاجه في «سميحة» وهو اللي غرقها.

تقولها لينتبه «حبيب» إلى سترة «سميحة» بيد «جميلة»، فيأخذها ظاهراً الأكم، بينما كانت هي الآن في مقصورة اليخت

بجانب «أشرف» الذي يقيدها بجانبها في ثبات.

من بطن الجزيرة وما حوله مكشوفًا تمامًا تحت إنارة الشمس
المُبهرّة، أنهى للتو «حلمي مهران» اتصالًا هاتفيًا مبتسمًا ثم
أغلق الهاتف ليخبئه في نفس المكان، ثم تحرك عائدًا إلى
الشاطئ حيث كانوا لا يزالون هناك بجانب «حاتم» وقد داووا
جرحه، حال «فرح» ليجلسا الآن بجانب بعضهما البعض،
بينما كانت «هدى» مقيدة في جانب آخر، بينما ظل «سيف»
و«جميلة» يتجادلان مع «حبيب» حول تقييدها، ليقول «حبيب»
بعقلانية:

- يا جماعه، وهو مال الدكتور «هدى»؟! ما كلنا عارفين
المخاطر دي، وبعدين «عاصي» و«سميحة» ماتوا لوحدهم
محدث عملهم حاجه!

- والدم اللي على «حاتم» ده؟!!

تساءلت «جميلة» ليجيب «حلمي مهران»:

- ده مش دم «سميحة».

تلقت «جميلة» لتجده «حلمي مهران» قد ظهر فجأة، لينهره
«سيف» في ضيق:

- إنت شرفت؟!!

تدخل «جميلة» متشككة:

- وانت إشعرفك؟! وكنت فين أصلًا ده كله؟!!

يقاطع حديثهم «حاتم» يكمل في جنون:



- قتلکوا کان فی مرکب هنا.. دی شغلتي.

يعود «سيف» بالحديث إلى «حاتم»:

- يعني انت شوفتها بنفسك، ولأ بتتخيل برضو؟!

- يا بني أنا مش لازم أشوف المركب عشان أعرف إنها

موجوده.

يقولها «حاتم» بثقة، لترد «جميلة»:

- ده مجنون، وده دم «سميحة» اللي عليه.

يتدخل «حلمي مهران» مرة أخرى جازماً:

- قتلک لأ...

تلتف «جميلة» ولما تصل إلى اليقين بعد:

- أومال دم مين؟!

- دمي!!

يقولها «حلمي مهران» وهو يرفع قميصه، ليجد جرحاً كبيراً مضمداً، لتراجع عما عن لها ويدا، بينما يعود «حلمي مهران» إلى ما حدث أمس بشاطئ الجزيرة الذي يحوي ألواناً من العجائب، حيث كان «حاتم» يتحرك خلف شيء ما حتى انتبه لوجود يخت، فكاد يصرخ مهللاً، إلا أن «حلمي مهران» أسرع وأوقعه أرضاً مطبقاً بمقعده على صدره واضعاً يده على فمه، ليظل يرمق هو يخت «أشرف» مغادراً الجزيرة، هذا ما شاهده «حلمي مهران» أمس وإن كان سينكره الآن، بينما هو جالس

و«سيف» بجانبه يداوي الجرح، لبدأ «حلمي مهران» كذبه
قائلًا:

- كان متهيأ له إن في مركب في البحر، وكان عايز يمشي
وراها وكان هايغرق.

يندهش «سيف» متسائلًا:

- وهو كان في مركب فعلاً؟!

يلمح «حلمي مهران» «حاتم» وهو يجيب:

- لأمكنش في حاجه، كان مجرد وهم.

ليؤكد «حبيب» للتو حديثه:

- وهو إيه اللي هايجيب مركب هنا فعلاً من غير ما نحس
بيها؟!

تساءل «حبيب»، فغامزًا أجابه «حاتم»:

- إنت أدري يا دكتور.

- إنتوا مش فاهمين أي حاجه، إنتوا لازم تفكوني.

تقولها «هدى» ليتحرك ناحيتها «حلمي مهران» قائلًا:

- أعتقد تكتيفك هنا ممكن يكون الفكره الصح الوحيدة على

الجزيره دي.

- لأطبعًا...

قالها «حبيب» مقتربًا من «هدى» في عزم ليفك قيودها،

فيمسكه «سيف» وبخاطبه مُتشكِّكًا:

- هو انت معاها ولأ إبه يا «حبيب»؟!!

يتراجع «حبيب» عن دفاعه من فوره قائلاً:

- يا عم خلاص اعملوا اللي تعملوه.

- أنا مابقتش واثق في حد!

مرتابًا يقولها «سيف» قبل أن تعقب «جميلة»:

- إحنا لازم نفتش في حاجة «هدى»، لاحسن تكون مخيالنا

حاجه تانيه!

- عندك حق.

يتوجهون إلى خيمة السيدات، لتظل «جميلة» تبحث عن

حقيبة «هدى» لتجدها قد اختفت، فتتوتر من أمام «سيف»

و«حبيب» قائلة:

- أنا متأكده إنها كانت ماسكه ورق إمبراح!

يتساءل «سيف» كمن خَبَطَهُ أو مسَّه عِفْرِبِت:

- هيكون راح فين يعني؟!!

- وأنا اشعرفني؟! شنطتها كلها مش موجوده.

يتوتر الجميع، وتخرج «جميلة» من الخيمة وفي عقبها

«سيف» يرمق «حبيب» و«حلمي مهران» بشك، بينما

ترمقهم «فرح» الجالسة بجانب القبطان «حاتم» في انسجام

واستئناس، بينما «حلمي مهران» قائم في صمت كعادتهم



جميعًا، وهم يراقبون توجه «جميلة» إلى «هدى» المقيدة،
لتساءل:

- وديتي شنطتك فين؟!!

بأريحية تجيب «هدى»:

- يعني إيه؟! ما هي عندك في الخيمه!!

- مفيش حاجه، إحنا فتشناها كويس.

يقولها «سيف» لتجيبه هي:

- يبقى في حد منكوا ورا كل اللي بيحصل ده، وهاتقعوا
واحد ورا الثاني..

قالتها «هدى» بخبث، لينظر كل منهم إلى الآخر، قبل أن
يتذكر «سيف» قبر «عاصي» الذي شاهد ما فيه من تلف،
ليقول في تردد:

- هو في حاجه كمان ممكن تكون اختفت من على
الجزيره؟...

ينظر الجميع إلى بعضهم وكأنهم يراجعون عددهم في ترقب!!
بينما من بعيد يتسم «حلمي مهران» الذي كان يعلم بالتحديد
ما فقد بالأمس القريب.

من أمام قبر «عاصي» بقلب الجزيرة وفي وضح النهار يقف
الجميع، بعدما أنهاوا حفرة، ليظهر القبر أمام ناظرهم خاليًا.

- فعلاً جثة «عاصي» اختفت!

يبتسم «حلمي مهران» مرة ثانية، ليتساءل «سيف»:

- يعني إيه، الميت صحي؟!

- في حاجة غلط على الجزيرة دي!...

قالتها «جميلة» لِيُفَنِّدَ قولها «حلمي مهران» قائلاً:

- مش في الجزيرة، الغلط فينا إحنا.

- ممكن مايكنش مات أصلاً...

يقولها «سيف» ليعترض «حبيب»:

- لآ طبعاً، أنا اتأكدت بنفسي، أنا دكتور على فكره.

- دكتور إيه بالضبط؟!

يتساءل «حلمي مهران» ليحرجه، فيمتنع «حبيب» عن

الإجابة.

- يمكن فعلاً في حد جه بمركب زي ما «حاتم» ما بيقول.

علق «سيف» ليستخفه «حبيب» قائلاً:

- إنت هاتصدق الراجل المخبول ده؟!

يقذف «حلمي مهران» «حبيب» ببصره، مؤكداً:

- فعلاً مكنش في مركب.. دي كانت تهيئات!

يقولها مسترجعاً من عمق خياله السحيق متذكراً قدوم اليخت

بالفعل، ولكنه لا يزال ينكر!

- طب هانعمل إيه دلوقتي؟!

تساءلت «جميلة»، فأجاب معقبًا «حبيب»:

- معرفش، بس ماينفعلش نسيب بعض لغاية ما نفهم.

- ما إحنا سايبين «فرح» و«حاتم».

يقولها «سيف» قبل أن يحذرهم «حلمي مهران» هو الآخر
قائلًا:

- أنا كمان هاسيبكوا.

يعلق «حبيب» بلا رضا:

- براحتك، إحنا مش واقفين عليك.

- إنت أصلًا شكلك براوي، وكمان «حاتم» ده أنا مش
مستريحاله.

تعلق «جميلة» ليعترض «سيف»:

- يا سيتي ده راجل كبير زي قلته، وبعدين ليه ماتبقاش
«سميحة» هي اللي ورا الكلام ده؟ إحنا مش متأكدين إنها
ماتت، ممكن تكون بتعملنا حاجة.

قالها «سيف» ليتذكر «حلمي مهران» من فوره ما حدث فجر
أمس، حين أبصر «سميحة» تنظر مشدوهةً إلى الجزيرة قبل أن
تتجه لركوب اليخت بجانب «أشرف».

- وهي «سميحة» هاتعمل إيه؟ وليه؟

قالها «حبيب» متسائلًا، ليعلق «سيف»:

- ما يمكن بعد ما ابنها مات..

يتدخل «حبيب» مقاطعًا إياه في شدة وتأثر:

- قبل ما تكمل... ما أنا إبني مات في بطن أمه، ومراتي

كمان ماتت بعده، شايفني ماشي بقتل في الناس؟!!

تعلق «جميلة» «بحس أمومي كالتى تسكت أطفالًا قائلة:

- كفايه خناق انتوا الاتنين وبالا نرجع، أنا خايفه على

«فرح».

يتحرك ثلاثتهم مغادرين، بينما يظل «حلمي مهران» واقفًا

عند قبر «عاصي» قبل أن يشعر بشيء ما ليعود بعقله إلى

الأمس المنصرم، عندما كان واقفًا في عمق الجزيرة وكل

خيالاته حول «وعد» و«فؤاد» و«ماجي» و«هشام» و«حنان»

و«تيم»، بينما كانوا يقتربون منه في شكل دائري ويهرب عنهم

إلى الشاطئ، فيجد هناك «حاتم» يقف خلف ذلك المركب

البعيد يرصده مراقبًا ليتبعه بخطواته البطيئة قبل أن يلاحظ

«حاتم» شيئًا ما فيهجم عليه «حلمي مهران» ليكتم السر.

يعود «حلمي مهران» من ذاكرته، ثم يتحرك تاركًا القبر

مفتوحًا قبل أن يظهر بالمكان من بعده «حاتم» الذي يتوقف

عند القبر المفتوح مبتسمًا متذكرًا ما قاله للدكتورة مسبقًا...

«أنا مش عايز أتعالج يا دكتور، أنا عايز أموت، وعشان كده

هساعدك وهاجي، لأن أكيد أحلى موته هاتبقى موته البحر!»



يترك «حلمي مهران» «حاتم» ويغادر المكان، خطوة تلو الأخرى مبتعدًا بينما النهار فرض سطوته، وحمي بأسه على الجزيرة المستسلمة فانطرحت فاغرة فاها، قبل أن يستوقفه «نيم»:

- على فين يا «حلمي»؟! نفسي أعرف جايب الأنايه دي منين!

- أنا مش أناني.

- لآ أناني يا «حلمي» خدت مني «أمنية» زمان والنهارده بتاخذ مني «حنان».

قالها «نيم»، ثم اقترب متابعًا متذكرًا «أمنية»، تلك الصحفية التي أحبها قبل «حنان» وتعلقت بـ «حلمي مهران» هي الأخرى لتدفع الثمن غاليًا:

- وبيا ريتك خليت حد منهم سعيد، أهى «أمنية»، ولو مسبتش «حنان» أكيد هاتحصلها!

- أنا مآذتش «أمنية» دي كانت حب حياتي.

أجاب «حلمي مهران» مدافعًا عن نفسه.

- بس معرفتش تحميها، سييلي «حنان» يا «حلمي» قبل فوات الأوان، إنت فيروس ملوش علاج!

- ما أنا هنا قدامك بحاول أتعالج.

- تحاول إيه؟!

- ده انت حتى مش راضي تبلغ عن مكانك هنا، مستني
إيه؟!!

قالها «تيم» الذي علم بما فعله «حلمي مهران»، فلم يبلغ
عن مكان الجزيرة بالفعل لشيء ما في نفسه، فلقد كان
كبرياؤه يمنعه عن طلب المساعدة حتى عند احتياجها، ليجيب:
- مستني أعرف الحقيقه.

- تعرف الحقيقه برضه ولاً مبسوط بوجودنا كلنا هنا حواليك!
يقترّب «تيم» إلى «حلمي مهران»:

- مع إنك مش محتاج المكان ده عشان تشوفنا، إحنا كلنا
جوا دماغك، مش قلتك أناني..!

يرفع «حلمي مهران» رأسه بعد تنكيسه، فيبدو متصبباً
عرقاً، ليظلم وحيداً مكسوراً، لتلمحه «فرح» التي كانت الآن
تركض من جانبه، تحاول نسيان همها كعادتها لتتعداه ويرمق
كل منهما الآخر، ثم تكمل هي إلى عمق الجزيرة مستمعة إلى
موسيقاها، مضيئة إلى صحو الشمس بهاءً، حتى وصلت إلى
قبر «عاصي» التي كانت قبعة «حاتم» ملقاة إلى جانبه، قبل
أن تتفاجأ من هول ما رأت داخل القبر!

(06)

من خارج المخيم والنهار قد اعتمل أثره كان البقية الآن
يتساءلون عن الغائبين:

- هي فين «فرح»؟

قالتها «جميلة» من خارج المخيم والنهار قد اعتمل أثره،
ليجيبها «سيف» من جانب «حبيب»:

- وفين «حلمي» و«حاتم»؟!

- هو إيه نظام عسكري وحرامية ده؟! أنا زهقت!

علقت «جميلة» بتنافر، ليتابع «سيف» هو الآخر:

- وأنا كمان زهقت، أنا هاروح أعمل حاجة آكلها.

تحرك «سيف» ناحية منطقة الطعام، بينما ظل «حبيب»
واقفًا، لتختار «جميلة» اللحاق ب«سيف».

- أنا هاجي معاك يا «سيف».

يتسمر «سيف» مبتسمًا للحظات، عقبها يتحرك معها،
بينما ظل «حبيب» صامتًا قبل أن يستدير صوب عمق
الجزيرة مجددًا، قلقًا على «فرح» التي كانت لا تزال عند قبر
«عاصي» مندهشة مما رأت، فقد كان القبر مفتوحًا ببطن
الجزيرة يحتضن جنيًا، وكان هذا الجنين «حاتم» الذي دفن
نفسه داخل القبر بصعوبة مستلقيًا داخل القبر، ينظر إلى أعلى
مبتسمًا، إذ لا تزال هي تحاول فهم ما يقول:



- ماتستغريش يا «فرح»، أنا بس كان نفسي أجرب إحساس الموت، كان نفسي أعرف اللي بييموت ويتدفن جوا قبره بيحصله إيه!

يقولها ثم يشير إلى عجزه الذي منعه من إنهاء دفنه سوبًا ليتابع:

- بس زي ما انتي شايفة كنت عاجز حتى عن دفن نفسي!
تظل «فرح» ترمق «حاتم» قد بدت عطوفةً، لتجثو هي كي تنصت إلى حديثه جيدًا، لبيتسم فرحًا وهو ينظر إلى السماء!
- أنا مجيتش هنا عشان أرجع يا «فرح».

يقولها قبل أن يعيد نظره إليها ليجد «حبيب» خلفها، يقول:
- كمل وقفت ليه؟ إحكي عشان ترتاح.

يرمقه «حاتم» بشك، ثم يقول:

- عمر ما ضميري هايرتاح، أنا محتاج اللي يساعدي ويربحني.

يقولها قبل أن يجثو «حبيب» على ركبتيه، ماذًا يده إلى «حاتم» الذي يلحظ كفه، قبل أن يمسك بها مبتسمًا، حال ابتسامته «جميلة» الآن التي تبتمها إلى «سيف» وهي تساعده على الطعام.

- سبحان الله.. ماكنتش أتخيل إني أقف مع راجل في المطبخ!

- ليه يعني؟

يتساءل «سيف» محرّجًا فتوتر «جميلة» التي تذكرت عقدتها، قبل أن تعلق هاربة:

- إنت مختلف.

يلتف إليها ليقول بشيء من الحدة:

- مش يمكن اختلافي ده يخوفك؟!

- ليه بتقول كده؟ ده إنت حتى شكلك عارف كلام رينا!

- وهو انتي تعرفي كلام رينا؟!

يقولها وهو يدنو منها، لتتوتر «جميلة»:

- مالك يا «سيف»؟ ماتخوفنيش منك، أنا ما صدقت اطمنت

لحد!

برهبة قالتها قبل أن يبرز لهما «حبيب» عائدًا:

- في حاجه؟!

يعتدل «سيف» قائمًا ليلتفت، فإذا بـ «حبيب» يتوسط

«حاتم» و«فرح»، ليرمق ثلاثتهم قبل أن تتهكم بهم «جميلة»:

- إنتوا شرفتوا!!

من على بعد عدة كيلومترات من داخل هذا الكوخ الذي بدا وكأنه مركز لتجميع إمدادات الطاقة النظيفة، ينعم بالدفء

والسكون، كان «أشرف» خارجة جالسًا على كرسي هزاز يشرب زجاجة كحولية، يحدُّ بصره إلى اليخت المصفوف على اللسان الخشبي خلف الدراجة المائية الصغيرة، حيث تقف «سميحة» داخل اليخت في حيرة، تشعر بغضب مكبوت، حيث كاد قلبها ينفجر من هول دقاته الساخطة عليها، وكأنها على صفيح ساخن، كل ما تحتاجه هو بروده تلك لتبتسم وتستسلم إليها لتقفز فجأة في المياه، من أمام عين «أشرف» المذهول.

من عند المخيم إذ كانت تتأهب الشمس للارتحال وسال شفقتها الأحمر يملأ الأفق، وصل «حلمي مهران» الذي ظل يرمق الجميع وهم منشغلون بالطعام فيترك كل منهم ويتجه بنظره إلى «هدى» المقيدة وهي مصطبغة بالتأمل فيما حولها، وكأنها كانت مخططة مسبقًا لكل ما يجري، ليقترب إليها «حلمي مهران» منها بينما كانت هي الآن شاردة في ذكرى لها كادت بالفعل تنكشف إلى «حلمي مهران» الذي شاركها الذكرى لتوه، رجوعًا بعجلة الزمن القهقري إلى الوراء، في إحدى محاضراتها بكلية الطب حيث كانت «هدى» أمام طلابها تحاضرهم في جرأة، لتستمع إلى اعتراض أحدهم حين قال:

- بس يا دكتور الكلام ده صعب!!

ابتسمت «هدى» لتعلق على كلام الطالب المائل أمامها بقناعته مجادلًا، وعن رأيه مُنافِحًا:

- ما هو ده الفرق بينا وبين الكليات الأدبية اللي بتدرس علم

نفس، إحنا دكاتره، دورنا نعالج بالأدوية مش بالطببة، المرض النفسي زي العضوي بالظبط، لازم يتداوى.

يتابع الطالب مستشكلاً:

- بس مواد الأدوية اللي حضرتك بتقولها دي صعب جداً
تتجرب!!

تقترب «هدى» تقارعه الحجة بالحجة، طالبةً منه تعليلاً:

- ليه يا دكتور؟!

- لأن المريض النفسي مش هايقدر يوصلنا إجابات كافية،
إحنا كده محتاجين فيران تجارب.

بذا ألقى إليها تلميذها النجيب الطعم في مصيدة المناظرة،
فكان أن فاجأته، بما كان حدسه يشير إليه في هذه الدكتوراة
العجيبة، حيث قالت:

- وهو إيه يعني لما مجموعته تضحى عشان الباقي
يستفيد!!

تخترق تلك الجملة مسامع «حلمي مهران» الآن المتوقف
أمام «هدى» يشاركها ذكراها، لتبتسم «هدى» إليه عندما
شعرت به داخل عقلها لتحاول منعه، بينما السماء في معمعة
الغروب ولكنه استطاع الإنصات إلى ما كان داخل عقلها
الحبيس حين تابعت في المحاضرة قائلة:

- سجن «أوتيك» برافو، إنتوا عارفين يا دكاتره سجن «بان
أوتيك» ده كان عبارته عن إيه؟

لم يجب أحد في تلك المحاضرة، فتواصل هي كشف عقيدتها
المريضة قائلة:

- للي مايعرفش، ده كان سجن بتبقى كل ززانه فيه مكشوفه
قدام حارس واحد بس بيراقب كل المسجونين، واللي اخترعه
كان الفيلسوف «بنثام».

- ده صاحب نظرية المنفعة!

علق «أشرف» الذي كان من بين الطلاب حينها، لتبتسم
«هدى»:

- بالظبط كده يا «أشرف»، برافو عليك، شكلك هاتطلع
بتفهم في المنفعة الكلية.

يبتسم «أشرف» الذي كان قد تعلم الدرس من وسط الطلاب،
قبل أن تعود «هدى» الآن من شرودها، أمام «حلمي مهران»
الذي ترك أفكارها متعربة أمامه، ثم بدأ يبتعد عن عينيها في
عمق الجزيرة التي هبط عليها الليل فغشاها ما غشى، لتجد
«هدى» الآن من أمامها «حبيب» يقترب ليجثو على ركبتيه
ممسكًا بطبق للطعام.

- يا دكتور أنا جبت لحضرتك الأكل، وماتخافيش بكره إن
شاء الله بقى هاقنعهم يفكوكي.

تبتسم «هدى» بثقة لتقول بهدوء مريض:

- ده لو عاشوا لبكره..



من داخل الكوخ ليلاً، حيث المزيد من الخصوصية، ينبري «أشرف» وهو يقوم بتغطية «سميحة» المبللة ترتعش أعضاؤها ارتعاشاً متواصلًا، قبل أن يوجّه إليها الحديث معاتبًا:

- أنا لولا التعليمات اللي عندي كنت سيبتك تغرقني.

- يا ربتك سيبتني...

يجلس «أشرف» يحاول تهدئتها:

- ليه يا «سميحة»؟ ما أنا فهمتك كل حاجة...

- وهو في إيه من اللي حكيتهاولي يتفهم!!

تتغير لهجته لتصبح أكثر حدة:

- بلاش عند وغباء وماتضيعيش كل حاجة يا «سميحة»،

إنتي رينا كتبلك عمر جديد، بدل المره اتنين.

يقولها مشيرًا إلى سبابته والوسطى، يتابع:

- وأنا أكثر واحد عارف إن عشان ناس تعيش لازم ناس تانيه

تموت...

مشيرًا إلى قلبها يقولها، لتضغط «سميحة» على غرز صدرها في ضعف.

من عمق الجزيرة في جوف الليل، وقد ادلهمّ وحضر سواده، يظل «حلمي مهران» قائمًا أمام ظل ما، وقد أخذته الدهشة قبل أن يقترب إليه دون أن تبدو كامل تفاصيله بعد، ليقترب شيئًا

فشيئًا، حتى بدأ وجهها يظهر مع ضوء القمر المكسور:

- «أمنية»؟!!

قالها «حلمي مهران» وهو يقترب من بنت أفكاره البكرية، حيث كانت «أمنية» تتمتع بملامح أوروبية نادرة، فهي رشيقة، طويلة القوام بخصر نحيل، بيضاء البشرة، وردية الخدود، مرسومة الحواجب التي تحرس عينيها الجميلتين.

- مستغرب ليه يا «حلمي»؟!!

- بالعكس أنا جيت هنا عشان أشوفك.

صادقًا أجابها قبل أن تعلق:

- كلنا قلناك إنك مش محتاج تيجي هنا عشان تشوفنا،

مخك كفايه!

مشيرة إلى ندبة جبهته قالتها، ليجيب نافيًا:

- إنتي بالذات لآ، إنتي مجيتك دايماً عزيزه.

بحب لا يخلو من غيرة عقلت «أمنية»:

- عشان تنساني يا «حلمي»، ما انت حبايبك كثير، وخلص

ماقتش محتاجني.

- بالعكس، أنا مش محتاج غيرك يا «أمنية»، دورت عليكي

في كل اللي حواليا، بس للأسف ملقتكيش.

- مفيش حد بيتكرر، بس ده مش معناه إن الدنيا بتقف على

حد، أنا خلصت رسالتي، بس انت لسه مخلصتش رسالتك.

ينظر «حلمي مهران» أرضًا:

- يا ريتني أنا اللي مت يا «أمنية»!

تبتسم له متسائلة:

- ومين قال إني مت يا «حلمي»!!؟

- يعني إيه؟! أنا شوفتك بنفسي!

- شوفتني ولا اتخيلتني يا «حلمي» جوا مخك؟!!

قالتها لتزيد من شكوك «حلمي مهران»، فلقد كانت تلك رؤيته بالفعل التي اعتبرها صادقة، ولكنه بات مؤخرًا يشك في صدق رؤياه، ليعود هو بذكراه إليها حين رمق «أمنية» في تلك المدينة الصغيرة القريبة من «زبورخ» بـ «سويسرا»، حيث كان المشهد نهارًا، وإن كان مخيفًا، لم يفهم «حلمي مهران» حينها ما الذي جلبه هنا، ولكن «أمنية» كانت هناك! تخرج مهرولة، ليبتسم إليها «حلمي مهران» في سعادة قبل أن يلاحظ «جون» هناك عند أول الشارع ينتظرها، ليحاول «حلمي مهران» جاهدًا تنبيهها، إلا أنه كان مجرد «طيف» لا حول له ولا قوة، لتتحرك «أمنية» كالريشة إلى مصيرها، لتجد «جون» هناك مبتسمًا وهو يغرز في قلبها المسكين هذا الخنجر، لتقع «أمنية» أرضًا في هذا المكان الغريب، شاعرةً بتلك البرودة والوحدة، قبل أن ترى هي طيف «حلمي مهران» فلقد باتت صاحبة بصيرة في لحظاتها الأخيرة، ليدنو هو منها جاثيًا على ركبتة، ليلاحظ أنها تراه بعين ثالثة لتضحك هي قائلة:

- كان عندك حق يا «حلمي».



- «أمنية» إوعي تمشي يا «أمنية».

يتذكر للتو «حلمي مهران» ضحكتها حينها، وقالت في

هدوء:

- ده مشهد في خيالك يا «حلمي» ماتخافش.

يرتعش بدن «حلمي مهران» بعدما زادت شكوكه حول مقتل «أمنية» في أحداث قضية 3110 التي كان هو بطلها، ليكتشف أنه لا يزال يجهل الكثير، بينما لا يزال خيال «أمنية» متوقفًا أمامه ليقول:

- أيوه أنا مشوفتكيش بتموتي بعيني، أنا شوفتك بعقلي!

تقترب «أمنية» وتأخذ برأسه:

- أهو مخك ده اللي تاعبنا كلنا.

- ما انتي اللي صبتيني ولأ ناسيه؟

قالها مشيرًا إلى إصابة رأسه، لتتابع مدافعة:

- وأنا كمان اللي داويتك.

- يبقى ماتلومنيش.

- أنا الوحيد اللي مالومتكش أبدًا، أنا حبيتك انت زي ما

انت.

- يعني انتي مُتّي ولأ عايشه؟!

- اسأل مخك يا «حلمي» ممكن يكون قالك الحقيقه.



- وممكن يكون كاموفلاج زي القضية اللي فانت.

تبتسم «أمنية» لتعطيه حقيقة كان يجهلها.

- العالمين بتوعك يا «حلمي»، إنت اللي بتختار.

- وأنا اخترتك انتي يا «أمنية».

- يا ريت تكون اخترت صح.

تقولها «أمنية» وتختفي، ليزداد غضب «حلمي مهران» وهو يلتف حول نفسه، ثم تتعالى وتيرة دورانه كمن في دوامة!

- لآ، ارجعي... لو موتي أو حتى في دماغي، برضه

ارجعي..

يظل «حلمي مهران» غاضبًا ممسكًا برأسه، يحاول البحث عن المورفين في جيبه ولكنه لا يجده بالطبع!!

ليتجه ناحية الشاطئ في ضيق ليبصر البقية حيث كل منهم يحدث الآخر، فمن قَبَلِ «فرح» تظهر «جميلة» بجانبها قائلة:

- عارفه؟ أنا حبيتك أوي، إنتي نضيفه كده، لسه بشوكك،

زي الأطفال بالظبط.

تبتسم «فرح» دونما إجابة، فتقترب منها «جميلة» لتضمها قبل أن تدفعها «فرح» صادة إياها.

- خلاص خلاص يا ساتر عليكى.

علقت «جميلة» إذ تنأى عنها رامقة «سيف» الذي كان جالسًا بجانب «حاتم» يتساءل في فضول، خارج المخيم في

هدأة الليل:

- هو انت معندكش أي فضول للي بيحصل خالص؟! مش عايز تعرف مين اللي عمل فيك كده؟!

- الفضول ده أول سكة الهلاك.

قالها «حاتم» متفلسفًا، ليتابع «سيف»:

- ما كلنا هلكاين من ساعة ما جينا هنا.

- لآ إحنا هلكاين من قبل ما نيجي هنا، عشان كده مش فارق معايا حاجه، ولآ المفروض يفرق معاكوا؟!

يقولها «حاتم» قبل أن يسمع مرة أخرى منبه تلك الدراجة التي يعرفها ليلتف على نفسه في عجلةٍ إلى هذا الطفل على دراجته منبعثًا من عمق الجزيرة وليسرح بخاطره غير منتبه إلى «حبيب» الذي توسط المكان متسائلًا:

- طيب هو إحنا هانفضل مجاميع كده؟ إحنا لازم نعرف بعض، أنا مش عارف أثق في مين وأخاف من مين!

من على بعد عدة خطوات تعلق «جميلة» مثيرةً بشيءٍ من الخوف:

- ما كل اللي حكوا حكايتهم راحوا..

ينظر «حبيب» إلى «هدى» المقيدة من بعيد، قائلاً:

- خلاص، إيه رأيكوا أضحى أنا بنفسي وأحكيلكوا حكايتي، ما هو أنا جاي عشان أحكي، يمكن أنساها، أو حتى أفكرها.



- هي مين؟! -

تساءلت «جميلة» بفضول أنساها شكها، ليتدخل «سيف» هو الآخر:

- إحكيلنا كده مين الأول؟.. بما إنا كده كده هانموت هنا... -

قالها «سيف» متسائلًا عن قصة «حبيب» متزامنًا مع تصفح «سميحة» لتلك الأجندة الحمراء الموضوعه بجانب ملفاتهم في الكوخ والتي كانت تخص زوجة «حبيب» بالفعل الذي يبدأ الآن قص حكايته مع زوجته من صدر الليل وجوفه في هذا المُنخيم الذي لا يزال به متسع للعديد من الوقائع والحالات الإنسانية والنفسية بشتى ألوانها، وإذ كانوا متحلقين متأهبين، انبرى «حبيب» قائلًا:

- أنا «حبيب» دكتور بشري، بس للأسف علمي مافدنيش إني أنقذ أقرب إنسانة ليًا.. مراتي!

تظهر «فرح» مستمتعة برومانسية الرجل قبل ورود «حلمي» مهران» ممتعضًا، ليجلس بجانبهم، بينما تابع «حبيب»:

- كانت ملاك، كانت أجمل حاجه في الدنيا، ربنا عوضني بيها عن يتمي ووحديتي، كانت حنينه أوي، وبتقدر تحتوي كل الناس حواليتها.

تتماهى «فرح» مع ما تسمعه؛ فذابت من المستوى الشعريّ لحديث الرجل، متأثرة بحالة من الحنين لا تكاد تُوصف، بينما «حلمي مهران» يراقبها دون غيرها.



- كان نفسها تخلف مني طفل تربيته، زي ما كانت بتربي أختها الصغيرة، حاولنا كثير، بس للأسف الحمل مكنش بيثبت، وفي كل مره كانت بتسقط قبل الولاده، لغاية آخر حمل اللي وصل للشهر الأخير، بس رينا ما بيتعاندش، وجلها نزييف، ورغم كل اللي اتعلمته في الطب، مقدرتش أداويها في البيت! ما فتئت عينا «حلمي مهران» مُركزتين على «فرح» وما يبدو عليها من مشاعر، وقد بدأت تتوتر، و«حبيب» يسترسل في قصّ حكايته:

- شيلتها زي العاجز للمستشفى.

قالها «حبيب» متذكراً مشهد المستشفى الذي بصر فيه «سميحة» ليتابع بينما «حلمي مهران» كاد يخترق عقله:

- بس وصلت متأخر كعادتي، هناك عرفت إن الاحتفاظ بالجنين ممكن يآثر على حياتها.

يعود الآن «حبيب» إلى ذكرى حديثه التي شاهدها «حلمي مهران» للتو، متخيلاً الدكتور «ماهر» وهو يقص الاختيارات المتاحة لـ «حبيب» قبل بداية الأحداث، حين خيره بين زوجته والجنين، الأمر الذي كان محسوماً لـ «حبيب»:

- يعني لو حلمها اتحقق هي مكنتش هاتشوفه، فاخترتها هي، رغم إنني عارف إنها كانت هاتختار الطفل.

يقولها مجهشاً بكائه شاهقاً، ثم اعتذر:

- بس أنا اخترتها هي... ومكنتش أعرف إنني اخترت غلط.

يشعر «حلمي مهران» بالتعاطف مع «حبيب» وهو يتذكر ما قاله للتو لخيال «أمنية»، حين أعلن عن اختياره لها دون البقية:

- بس هي عمرها ما كانت اختيار غلط!

قالها «حبيب» متذكراً ذلك اليوم، حين كانت على سرير غرفتهما بعدما أنقذها لتظل هي المستلقية، في حين لا يزال «حبيب» يمسك بأجندتها الحمراء التي لا تزال تقرأ «سميحة» أحداثها داخل الكوخ.

- وهي مراتك راحت فين؟!!

تسأل «جميلة» «حبيب» عن زوجته بالمخيم وقد جنّ الليل ليحبيب:

- الاكتئاب كان أقوى منها، وفي يوم للأسف ملحقتهاش.

دمعت «فرح» تأثراً بينما لا يزال «حلمي مهران» ينظر إليها في ريبة، كما دمعت «سميحة» الآن وهي تقرأ تلك الأجندة الحمراء التي قصت نفس الحكاية ثم وقفت لحظة، لتضعها جانباً وتمسك بملفاتها الموضوعه أمامها، متناولة ملف «حبيب» بشيء من الود، لتلامس بأناملها صورته من على الملف، فلقد كانت مثلهم متعاطفة معه ليتمتم «سيف» الآن بتماثمه:

- أستغفر الله العظيم يا رب، بس انت مغلطش، إنت عملت

اللي الواجب والشرع قالوا عليه.



- آه والله، زي ما الشيخ قالك كده.

علقت «جميلة» مؤكدة كلام «سيف» الذي اعترض على وصفها قائلاً:

- أنا مش شيخ... .

- طيب ماتقولنا انت مين؟ ولأ لسه خايف؟!

متدخلًا في حديثهما، يسأله «حبيب»، فيعلق «سيف»:

- خايف!!!

يقولها ثم يتوقف لحظة قبل أن يضيف:

- أنا لو حكيتلكوا أنا مين، صدقوني انتوا اللي هاتخافوا.

- أنا عن نفسي مابخافش.

بثقة قالها «حلمي مهران» لتعلق «جميلة»:

- أخيرًا طلعتك صوت!

- طيب ماتحكينا انت الأول يا «حلمي»، وصدقني بعدها أنا

هاحكي حكايتي.

قالها «سيف» مُرَاوِغًا، ليرمق «حبيب» «حلمي مهران»

متحدثًا:

- ما تقول فعلاً يا «حلمي»، شيل شوبه من الغموض اللي

عليك.

- أنا معنديش حكاية أحكيها.



- طيب اشرب الشاي بتاعك بس وجربنا.

قالها «حبيب»، ليمسك «حلمي مهران» الشاي الذي ناوله
إياه مبتسماً وهو ينظر إليه.

- عارف يا «حبيب»؟ أنا الوحيد هنا اللي الشاي ده مايباثرش
فيه.

يتوتر «حبيب» ليتابع «حلمي مهران»:

- ماتستغربش كده، أنا هاحكيلك بس بشرط.

- من أولها، أوامر.

- المهم تفهمني.

(07)

لا يزال «المراقب» يراقب ما يحدث عبر تلك الكاميرات الموضوعه في كل أركان الجزيرة، وهو جالس على مكتبه الأبيض المستدير المميز يرمق كل الشاشات مستمتعًا بكل تفصيلة، خاصة «حلمي مهران» الذي يكمل حديثه الآن للبقية:

- هاحكيلكوا.

- إطربنا.

علقت «هدى»، ليتساءل «سيف»:

- كل اللي قالته عليك الدكتورة «هدى» إنك «حلمي عبد المهيمن».

يشرب «حلمي» الشاي فيبتسم ويبدأ الحديث:

- بالظبط كده، أنا «حلمي عبد المهيمن» وحيد أبويا وأمي، ويمكن ده سبب مشكلتي.

في شرود يقولها قبل أن يسمع للتو صوت أمه «حكمت» من خلفه قائلة:

- إنت عمرك ما كان عندك مشكله يا «حلمي».

- أمي!!...

يقولها ملتفتًا خلفه متوترًا، لتتهكم «جميلة»:

- إحنا بدأنا..

- واضح إن شاي الدكتور ه «هدى» عامل زي قهوة
«عدلات»، وواضح إنك بتتأثر عادي يا «حلمي» أهو... .

قالها «حبيب» ساخرًا، متذكرًا دور الفنانة «عايدة عبد
العزیز» في فيلم «النمر والأثني»، قبل أن يستوقفه «سيف»
متلهفًا:

- سيبوا الراجل يكمل.

يعود «حلمي مهران» مُجددًا إلى واقعه بعدما انتبه لأوهامه
ليكمل:

- أبويا كان عنده أخ وحيد من أمه الله يرحمها، بس كان
مريض توحد.

- عشان كده إنت طالعله؟!

تساءلت «جميلة» في تهكم، ليستوقفها «حبيب» تلك المرة:

- «حلمي» مش مريض توحد.

مدافعًا قالها «حبيب» ولكنه سمع والده الآن يؤكد لها.

«لأ، مريض توحد»

يسمعها «حلمي مهران» الآن بصوت والده في ذهنه ولكنه
يتماسك فيترك كوب الشاي، ليضغط على خاتم يده ذي الحجر
الأحمر الذي ورثه عن والده، ليغلق عينيه، وبيتعد برؤياه عن
الجميع!! عائدًا في لحظة إلى زمنٍ بعيد، وعهدٍ سحيقٍ إلى
عيادة طبيب الأطفال وأخصائي التوحد الذي ذهب إليه في
طفولته مع والديه حيث ظل «عبد المهيمن مهران» والده يؤكد

تخوفاته:

- أنا عارف إنه طالع لعمه يا دكتور، مفيش فايده.

قالها «عبد المهيمن» الذي كان يرتدي بذلته الشرطة، قبل أن تتدخل الأم بقوتها المعهودة قائلة:

- بعد الشر.

يستوقفهما «الدكتور» مُجَلِّيًا:

- أنا ماقولتش كده يا فندم، ساعات كتير بيكون تأخير التواصل الاجتماعي نتيجة ذكاء زيادة مش العكس.

- أنا مش عايز مسكنات، أنا عارف إن ده كان هايبقى مصيري مع ابني، بس أنا مش هاقدر أعيش الكابوس ده مرتين.

يقولها «عبد المهيمن» وهو يهم ليغادر رامقًا ابنه بنظرة عتاب قبل أن يذهب خارجًا من الغرفة ليجده في نفس اللحظة في غرفة معيشة بيته حيث تتلاحم ذكريات «حلمي مهران» الطفولية الآن ليتابع ذلك اليوم الآخر حين كان يلعب بالألعاب الفيديو البدائية التي كانت متواجدة حينها، والتي كانت من اجتهاد الأم في محاولة لفتح أبواب جديدة للتواصل مع ابنها، ولقد كانت بالفعل طريقة ناجحة لاكتشاف «حلمي مهران» منذ نشأته، إلا أن الأب لم يتفهم ليرشقه ابنه بنظرة احتقار، ولكن تلك النظرة لم تؤثر على حب «حلمي مهران» لأبيه، بل ظل قدوته بتلك البذلة المقدسة وهذا الخاتم ذي الحجر الأحمر



الجريء الذي لا يزال يُختم به الآن:

- روجت فين؟

تساءل «حبيب» قبل أن تضيف «جميلة» قائلة:

- يعني أبوك هو اللي معقدك زيبي؟!

- معرفش، بس أنا وعيت في الدنيا على قسوته، وقبل ما
أشتكي كان مشي، واللي مزعلني إني رغم كل ده كنت مستني
رضاه.

- عشان أصيل.

جامله «حبيب» ليكمل «حلمي مهران»:

- أو يمكن ما بحبش أمشي خسران.

- دي كده شيزوفرينيا.

بمهنية شخصية أكمل «حبيب»، ليتابع «حلمي مهران»:

- صدقني يا «حبيب»، أنا مش واحد جواه الشيء وعكسه
بس... لأ

أنا جوايا 100 شخصية مش اتنين بس، ولما رجعت من
الموت فهمت أهمية كل نفس بنتنفسه، عشان كده عايز أعيش
كل حاجة كامله، ومفيش تجربيه ما ينفعش الفضول يسبيني من
غير ما أدخلها.

يقولها «حلمي مهران» ليتدخل «حاتم» مشاركًا:

- الفضول هو سبب كل ده.



يتدخل «حبيب» مدافعًا عن الفضول:

- بس هو برضه اللي بيحركنا، وده يمكن اللي خلى «حلمي» يتكلم معانا ويشاركنا قصته، رغم تكتمه الشديد.

- مش ده اللي خلاني أحكي.

مفندًا رد عليه، فسأله «حبيب»:

- أومال إيه؟

- معرفش.

يقولها مبتسمًا وهو يرمق كاميرا خفية موضوعة أعلى شجرة بعيدة، ثم يتابع بثقة:

- بس يمكن عشان عارف إن مفيش حد منكوا هيلحق يحكي حكايتي لحد.

- ليه التفويل ده؟

تقولها «جميلة» متهولتة:

- بالعكس، دي أحلى حاجة قالها، أصل أنا عكسك، أنا مستني أموت عشان أرتاح من علتي.

يقولها «حاتم» مشيرًا إلى قدمه، ثم يتابع:

- عشان كده أنا جيت هنا، عشان أموت مش عشان أتعالج.

يقولها وهو يقهقه ببرود مجنون، ليتمتم «سيف»:

- أستغفر الله العظيم، بلاش الكلام ده بس.

- طيب ما تكمل انت يا «سيف»، أظن ملكش حجه بعد ما
«حلمي» اتكلم.

يعلق «حبيب» طالبًا مشاركته:

- براحتكوا بس يا ريت رأيكوا مايتغيرش، وتطلعوا زي الناس
وتحطوا أحكام.

كان «سيف» ضحية هذا المجتمع المستبق للأحكام، حاله
حال الجميع، فإن المجتمع يتباهى بأخلاقه أكثر من إيمانه بها،
ليشعر كل من يقوم بالصلاة بأنه قد ارتقى عن البقية ليرمقهم
نظرة دونية، وهكذا دواليك دواليك، فكل من يقوم بحسنة
يتناسى أنها كانت ابتغاء مرضاة ربه ويحتسبها ترقية له عن
البقية ممن صاروا أدنى منه، فكما يتباهى الغني بماله فيفقد
قيمه، يتباهى الخلق بخلقه ليفقد قيمه.

- برضه جربنا.

مُحَفِّزًا يعرض «حبيب» ليوافق «سيف»:

- ماشي...

- أنا «سيف» أنا برضه وحيد أبويا وأمي يا «حلمي»، قبل ما
الأتنين يموتوا سوا ويسيبوني وأنا عندي سبع سنين، من غير
أخ ولا أخت، ولا عم ولا خال، لوحدني مع جدتي، اللي كنت
بخدمها أكثر ما بتخدمني.

يقولها مستحضرًا لمشاهد عديدة في خياله من حياته مع
جدته مُتَحَمِّلًا شيخوختها ومرضها، ويتعاونان معًا على شؤون

حياتهما رغم صغر سنه، لبيتسم «حلمي مهران» الذي كاد يشاهد ما في خياله من ذكريات:

- يمكن عمرها ما حرمتني من حاجه، بس في حاجات مابتتعوضش، كل الناس افتكرت إني هابقي مدمن أو بتاع ستات، أصلي ورثت كتير بس أنا كنت أضعف من كده!
يظل يتذكر طفولته ومراهقته:

- كنت خايف أوي، خايف من الموت، خايف من رينا، وفضلت خايف ووحيد لغاية ما لقيت حد يحتويني.

يشير «سيف» إلى إحدى الجماعات المتطرفة التي استغلت وحدته واحتياجه للدعم النفسي والمعنوي:

- جماعه حسسيتني إنهم أهلي، استغلوا ضعفي وخوفي ويقوا أقرب مني ليا، بس كانوا أكبر كدبه صدقتها في حياتي، مسحوا مخي، عشان فلوسي، ولما الفلوس خلصت عليهم، بقيت بتدل باللقمه، اللي بقي لازم أكسبها بدراعي، لغاية ما جيه اليوم اللي اطلب مني إن أثبت فيه ولائي.

يقولها متذكراً ما رمقه «حلمي مهران» للتو حين كان «سيف» داخل تلك الخيمة في إحدى الليالي المشئومة والتي قادت فيها جماعته الملتمة هؤلاء الرجال الأبرياء الثلاثة، يمشون نحو الهاوية في مشهد مرعب ظل في مخيلته وعقله سنواتٍ عدة، فقد كانوا يتحركون برؤوس مرفوعة، ليندهش «سيف» حينها من قوتهم، فلقد كانوا على حق وهو على باطل، ليرمق عزة أنفسهم وكبرياءهم التي لم تمتلكها جماعته

مندهشًا، بل وكانوا يهرولون ناحية منصة الإعدام ليتخلصوا من أسر تلك الجماعة الظالم أهلها، قبل أن يجلسوهم أرضًا من داخل تلك الخيمة الشاسعة التي مَوَّلَت بأموال الظلم، بينما يأمره أحد أفراد الجماعة المثلثين بقتلهم، معطيًا «سيف» السلاح، ليتسمر مترددًا، فلم يكن أبدًا قاتلًا بل كان فقط دون هوية، يبحث عن الاحتضان، ولكنه أخطأ الاختيار حال الكثيرين، ليتجمد في عروقه، قبل أن يتدخل أحد المثلثين في غضب ضاغظًا على أصبع «سيف» عنوة من على الزناد لتتطاير الطلقات، مطيرةً معها قطعًا من أمخاخ القتلى وجماجمهم وسط سعادة الرجال ودموع «سيف» ونحيبه كالأطفال متصلبًا بموقعه لا يبدي حراكًا وهو يرقب المشهد في استنكار واشمئزاز، لا يدري ما يعمل!! بينما الرجال يهللون في سعادة بعدما وقع الضحايا الثلاثة، قبل أن يُدخل الرجال مجموعة من النساء المقيدات إلى الخيمة ليبدأوا في نهش أجسامهن، كالذئاب الجائعة، بل أخسَّ منها، والتحرش بهن بجانب جثث الضحايا بوحشية تعكس مرض عقولهم، ليظل «سيف» مذهولًا من هول ما يرى، فيجثو على ركبتيه صارخًا دون أن يظهر لصراخه أي صوت بجانب ضحكات الرجال وظلمهم.. أيُّ ملةٍ هؤلاء؟! وأيُّ نوعٍ من الخلق بل من المسخ هم؟!!

يظل «حلمي مهران» مذهولًا من هول ما تخيله للتو، لتفر دمعة من عينه الباردة وسط اندهاشه، فلم تحدث منذ كثير، ولكن هول ما رآه كان مختلفًا، ليظل شاردًا للحظات يحاول استيعاب سر تلك الجزيرة التي فتحت عقولهم أمام عقله،



ولكنه كان يجهل أن السر لم يكن أبدًا في الجزيرة، بل ما يحدث الآن في عقولهم، في تجربة كادت تؤدي بهم إلى ما حدث له منذ حادثه، ليصيروا جميعًا في هذا العالم الموازي المنفتح أبعاده، ليتوتر البقية من تلك الرؤى التي لم تؤثر سلبيًا على «حلمي مهران» الذي كان هو سيد هذا العالم.

- كلكوا كده؟! وحوش بتنهشوا في لحم الستات؟!!

تقولها «جميلة» بعدما سمعت قصة «سيف» لتبدأ في استباق الأحكام عكس ما وعدت، فطبيعتها طبيعتنا، لم تتغير.

- عيب يا «جميلة».

يتدخل «حبيب» حادًا من انفعالها:

- إيه اللي عيب! ده طلع قتال قتله، وأنا اللي كنت شايفاه بني آدم!

بقسوة تقولها «جميلة» وتتجه ناحية الخيمة، لكن قبل أن تصل إليها تستوقفها «هدى» المقيدة:

- رايحه فين؟! إنتوا لو نمتوا مش هايجي عليكموا صبح....

- ما أنا عرفت، بس ما هي دي مجايك.

تحاول «هدى» تحذيرها قائلة:

- إنتي مش هاتقدري....

تقاطعها «جميلة» وهي تمسك بوشاحها الموضوع حول رقبتها لتضعه بضم «هدى» كي تصمت، فجعلت تعافر قبل أن

تنتهي «جميلة» قائلة:

- أيوه بقى كده، نقطينا بسكاتك.

تقولها ثم تتجه «جميلة» لمنطقة إعداد الطعام لتشرب عصيرًا ما، كان موضوعًا، قبل أن تشعر بدوار واضح، لتتوتر وتسحب سكينًا بالمنضدة، وبنظرة قوية حادة، تعود إلى خيمتها...!! لتستلقي وهي ممسكة سكينها في حالة استعداد لأي غدر، بينما عند البقية يتابع «سيف» داعمًا:

- شفتوا بقى، محدش بيقدر يتقبل الحقيقه، ولا حتى أنا قادر أسامح نفسي.

- ندمان؟

سأله «حبيب» ليجيبه:

- مش حاسس غير بالندم، والسبب الوحيد اللي عايش عشانه، إني أوعي الناس من شرهم، مش عايز حد غيري يشوف نفس المصير، عايز أروح شارع شارع، وأخبط على بيت بيت أحكيلهم اللي شوفته يمكن ده يكفر يوم عن ذنبي!

يقولها وهو ينظر إلى ثلاثتهم الذين كانوا متوقفين خلف الخيمة بملابسهم الحمراء، ليرمقهم «حلمي مهران» هو الآخر، هؤلاء الذي تم إعدامهم من قبل جماعة «سيف»، ليزداد توتر «سيف»، فلقد كانوا ثلاثة وكان هو رابعهم، ليظل هو يبكي ندمًا قبلوه أخيرًا ليستديروا -للتو- مغادرين إلى عمق الغابة في رضا أراح نفسه نوعًا ما، ليتجه هو ناحية الخيمة، لائذا بها، ليتربع فيها أرضًا عاجزًا داعم العينين، بينما لا يزال «حلمي



مهران» في الخارج يراقب «حبيب» الذي نفر منه:

- بتبصلي كده ليه؟!

- مستغرب.

- ويا ترى مستغرب من إيه؟

- أول مره أقف قدام شخصيه وأبقى محتار بين خيرها وشرها!

يقولها «حلمي مهران» الذي كشف عن «حبيب» هو الآخر الكثير، ليظل حائرًا بين خيره وشره، ولكن «حبيب» كان ببساطة رمادي اللون، حاله حال الكثير لم يُخلق ملاكًا، ولم يكن أبدًا شيطانًا.. توتر «حبيب» وأكمل «حلمي مهران» قائلاً:

- إوعى تفتكر إن انت بس اللي بتراقبنا كلنا.. لاء، أنا كما براقبكوا واحد واحد، وبدأت أعرف حدوده واحد واحد، واستغربت إنك حكيت قصتك!

يقاطعه «حبيب» معلقًا:

- مش يمكن أنا كمان عارف إن مفيش حد هايلحق يحكيها!

بثقة يتسم «حلمي مهران» قائلاً:

- أنا معنديش أدنى شك، بس مستغرب إنت إزاي بالبرود ده

بعد الحب اللي عيشته!

أشار «حلمي مهران» إشارة صحيحة، فلقد كان قلب

«حبيب» قلبًا محبًا بكل صدق، ليجيبه في شرود:



- الحب ده هو سبب اللي أنا فيه يا «حلمي»، الحب بيوجع،
وزي ما بيعلم اللين بيعلم القسوه.

- أتمنى إنك تلحق تتغير.

- أنا مش مهم يا «حلمي»، المهم الناس، المهم المنفعة
الكلية.

يقولها «حبيب» مبتسمًا ينظر إلى الجميع، لبيتعد من رام
الابتعاد شأواً بعيداً! ليهبط الليل على الجزيرة كما حل على
هذا الكوخ الذي جلست فيه «سميحة» ترمق ملفاتهم في عطف
شديد.

من خيمة الرجال كان «سيف» ممسكاً بالقرآن يحاول النوم،
مرتدياً فانلة رياضية للنوم قبل أن ييأس، ليجلس وينادي
«حبيب» الذي كان مستلقيًا:

- «حبيب».. إنت نايم؟

- أنا ما بنمش

يجيب «حبيب» مُغْمَضَ العينين، ليتابع «سيف»:

- طيب فكرك أنا رينا هايسامحني؟!

يعتدل «حبيب» متعاطفًا في جلسته:

- معرفش، بس المهم إنك تقدر تسامح نفسك.

- إنت بقيت بتتكلم زي الدكتوراه «هدى».

ساخرًا علق ليتابع «حبيب»:



- اللي يعيش ياما يشوف .

- طيب وهو اللي زبي يستاهل يعيش بعد اللي عمله؟

- أكيد، بس لو لسه ليه دور مكملش!

يقولها «حبيب» لبيتسم «سيف» شاردًا قبل أن يلمح خارج
الخيمة حيث الظلام يعم الأرجاء، قبل أن يلمح شيئًا من
الخارج!

- مين برا؟!!

يقولها «سيف» رافعًا صوته ، قبل أن يهدئه «حبيب» مجيبًا:

- ده يا «حاتم»، يا «حلمي مهران» !!

كان «حاتم» بالفعل في الخارج يمسك عكازه وهو يمشي
بطريقة غريبة إلى عمق الجزيرة تناديه النداهة بينما من
خلفه «حلمي مهران» يراقبه، وهو يمشي كالمغيب من عمق
الجزيرة، قبل أن ينتبه لمن يتبعه، فيلتفت فجأة ليجد «حلمي
مهران» فيصرخ فيه:

- إنت عايز مني إيه؟!!

- إنت عارف..

قالها «حلمي مهران» وهو يقترب.

- إنت اللي عارف يا «حلمي»، وشوفت معايا امبارح كل

حاجه، واللي أنا مش فاهمه إنت سكت ليه!

يتساءل «حاتم» الذي كان متأكدًا مما شاهده أمس وأنكره

«حلمي مهران» غير منتبهين لصوت تلك الهرولة للخطوات التي تتحرك وسط الحشائش، وصولاً إلى «هدى» المقيمة أرضاً بالخارج والتي فزعت من ضلال القادم إليها كشبح يقدم بجرأة، فلقد رمقت جسداً من أمامها يظهر كسلوبت ومن خلفه الإضاءة، لتحاول «هدى» الصراخ، ولكن وشاح «جميلة» الذي يسد فمها حال دون الأمر، لتكمل هي حركتها بأنين مسموع في ليلة ستبدأ أحداثها الدموية للتو!!

سمعت «جميلة» للتو صوت الأئين من خارج الخيمة، لتفتح عينيها فجأة مستيقظة على صوت الأئين، فتعدل من جلستها وتنظر إلى «فرح» النائمة قبل أن تمسك بسكينها التي كانت تحتضنها وتخرج بهذا الفجر الجديد، تبدو وجدت هذا الشخص غير الظاهر يقترب من «هدى» حيث سكنت عن الأئين فجأة..!

تقترب «جميلة» من خلف الرجل في ترقب، لتجده «سيف» الخالع سترته ويرتدي من أعلى فانلة رياضية فقط! لتكشر «جميلة» عن أنيابها فقد ظنت أن نية «سيف» التحرش بـ «هدى» المقيدة، إذ بدا لها في تلك اللحظة خيالاً تعرفه من خلف «سيف»، إنه خيال والدها قد ظهر لها الآن من العدم يتسم لها متحدثاً، ليعود بها إلى الماضي.

- بابا.. أنا صاحبتى هاتبات معايا النهارده.

قالتها «جميلة» لوالدها حين كانت مراهقة في تلك الليلة التي كانت عائدة فيها مع صديقتها إلى منزلها حيث كان والدها جالساً على بار بالبيت يسكر فيه كعادته!

- وماله.. طبعاً البيت بيتها.

يقولها الأب السكير مبتسماً لصديقة ابنته قبل أن يغازلها بنظراته وهو في غير وعيه، لتسرع «جميلة» بصديقتها إلى الداخل بينما ظل الأب يزداد شراباً، حتى ثمل، وزاد سكره، فاقداً الوعي تماماً! فلماذا تُشرب الخمر ولهذا حرمتها الأديان، حيث استيقظ الأب فجراً من ثمالة ليتحرك فجأة إلى الداخل

كالشور الهائج، فلقد نادته غريزة يجهل مصدرها الحيواني، ولكنها كانت بين ضلوعه، قننها عقله الذي فقدته بتلك الكمية من الكحول، فتح الأب غرفة ابنته ليجدها هناك، ظننها صديقة ابنته فشرع يلاحقها بشراة، حتى استطاع هتك عرضها، قبل أن ينتبه إلى صوتها تقول:

- حرام عليك يا بابا، ده أنا بنتك... ..

فتح الأب للتو عينه ليدرك ما فعله جسده النجس في لحظة أدرك فيها أنه داخل كابوس سيلاحق ذريتها إلى يوم القيامة، لتظل هي ترمق وجه أبيها بكره لم يتغير حتى تلك اللحظة التي شاهدت فيها خياله الآن من أمامها من خلف جسد «سيف» الذي ظل يقترب من «هدى» معطيًا «جميلة» ظهره، لتستبق هي الحكم محكمة قبضتها على هذه السكين صارخة:

- كلكوا أنجاس!!

يلتفت «سيف» من صعق صوتها ولكن بعد فوات الأوان، حيث غرزت هي للتو السكين في أحشائه، قبل أن تلاحظ في يده كوب الماء الذي كان يحمله إلى «هدى» التي ابتسمت متذكرة حديثها في محاضرتها في الجامعة حين ذكرت «سجن أوتيك» حين قالت:

«حارس واحد بس بيراقب كل المسجونين»

يسقط كوب الماء مصاحبًا لصراخ «سيف» ألمًا، ليستيقظ البقية، مع انبلاج الفجر، ليقوم «حبيب» مسرعًا حال «فرح»، التي خرجت مفزوعة إلى الخارج لتصرخ للمرة الأولى فور

رؤيتها «سيف» على الأرض، قبل أن تبدأ بالركض بعيدًا إلى العمق من هذه الجزيرة المتوقف فيها «حاتم» يجادل «حلمي» مهران» الذي شرح رؤياه:

- خلاص، يبقى كل واحد فينا ليه أسبابه.

- يعني هاتسكت يا «حلمي»؟

تساءل «حاتم» ليجيبه «حلمي» مهران»:

- هاسكت بس مش كثير.

- الوقت مش في صالحك، كل ساعه واحد هايموت.

يقولها «حاتم» لحظة ظهور «فرح» التي تركض خائفة، لينتبهها إلى ما يحدث.

- مش بقولك؟!

يقولها «حاتم» ضاحكًا؛ بينما يتجه «حلمي» مهران» من فوره إلى المخيم، حيث كان «حبيب» جاثيًا على الأرض بجانب «سيف» الذي يلفظ آخر أنفاسه قائلًا:

- مش قتللك محدش بيقدر يسامح؟ كلنا بنحكم على بعض، هي دي طبيعة البشر يا صاحبي.

يتأثر «حبيب» داعمًا بينما يصل «حلمي» مهران» الذي يمسك رأسه في حسرة، و«سيف» يقول -متابعًا حديثه- بين يدي «حبيب»:

- بس على الأقل أنا ارتحت، إنتوا بقى إوعوا تنسوا اللي

حكيتهلکوا، وفکروا بیه کل الناس، عشان لو أنا مکتتش أول واحد فی الجماعات دي، یا ریت أبقى الأخير.

يقولها «سيف» قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة، فيتركه «حبيب» في حالة من السخط، وينظر إلى «هدى» المقيدة، ليتجه إليها وينزع عن فمها الوشاح، ولتبدأ هي الحديث من فورها:

- «جميلة» اللي قتلته.

ينظر «حبيب» إلى «جميلة» التي بدأت نوبة من الهستيريا:

- أيوه أنا آية الحق عليًا، كان هاينهش في لحمك.

بخبت شديد تعلق «هدى» مستغلة الموقف:

- حرام عليكى، ده أنا صعبت عليه وكان جايلي بكوباية ميه، بدل ما كلکوا نسيتونى هنا زي الكلاب.

منهارة ترفض «جميلة» الحقيقة لتكمل بهستيريا:

- لا لا، هو كان هايفتصبك زي ما هو كمان عايز يفتصبك، كلکوا لازم تموتوا.

تقولها مشيرة إلى «حبيب» بالسكين الملطخة بدماء «سيف»، فيتدخل «حلمي مهران» من فوره:

- إهدى یا «جميلة» ونزلى السكينه.

- مش قبل ما أقتلك انت كمان.

ينقض «حلمي مهران» على «جميلة» مباغتًا لتقع السكين،

قبل أن يتدخل «حبيب» الذي ضربها بقوة، ليندهش «حلمي مهران» من ردة فعله لتهوي هي أرضًا، وبعم الوجوم صمًا للحظات قبل أن تبدأ مراسم الدفن التي كان «سيف» بطلها، الذي سكن نفس البقعة التي استقبلت «عاصي» من قبله ليظل «حلمي مهران» و«حبيب» يرمقان بعضهما البعض من أمام فوهته بعدما ألقوا فيها «سيف» ومن ثم يتجهان ليمسكا بالصخور مغلقي القبر، حتى انتهوا لينظر «حبيب» إلى «حلمي مهران» ليسأله:

- بتعرف تصلي صلاة الجنازة؟

من داخل غرفة الكوخ، تظهر «سميحة» قد طلع نهارها، وهي تكمل قراءة ملف «سيف» قبل أن تسمع صوت رنين هاتف «أشرف» الموضوع على أريكة خلفها، فتقف «سميحة» بفضول لتجيب خلسة دون أن تصدر أيما صوت، قبل أن تسمع صوتًا غريبًا، تسمعه للمرة الأولى!!

- أيوه يا «أشرف».

ظلت «سميحة» متوقفة للحظات تحاول إدراك صوت المتصلة قبل أن تقولها بوضوح:

- يا «أشرف» أنا «فرح».

تذهل «سميحة» غير مدركة أنها كانت بالفعل «فرح» متوقفة وسط الجزيرة ممسكة بهاتف آخر وهي تردد في ثقة تظهر للمرة الأولى:

- ما ترد يا «أشرف» مفيش وقت.

ينهي «حبيب» صلاة الجنازة مع «حلمي مهران» ليتحرك
مغادرًا بينما يظل «حلمي مهران» متوقفًا.

- مش هاترجع؟

تساءل «حبيب» ليجيب «حلمي مهران»:

- لا أنا هاستنى شويه.

- براحتك.

يقولها «حبيب» ليعود إلى الشاطئ حيث «حاتم» جالس بينما
«جميلة» مقيدة حال «هدى» التي تساءلت:

- دفتوه؟

يومئ «حبيب» بالإيجاب.

- طيب مش خايف جتته تتسرق هي كمان؟!

- ومين قالك إن الأولانيه اتسرفت؟!!

- إنت هاتعمل زبهم وتقول إن الميت صحي؟! ده انت دكتور!

تقولها «هدى» ليجيب «حبيب» في فتور:

- أنا هابقى أراقب المكان كل شويه.

- طيب مش هاتفكني بقى؟

تساءل «هدى» ليعقب «حبيب»:

- لما أظمن على «فرح» الأول هي فين.

- أكيد «سميحة» عملت فيها حجه..

اندهش «حبيب» من إجابة «هدى» التي تابعت لتشتته أكثر:

- هوانت صدقت إن «سميحة» غرقت؟! أكيد هي على

الجزيرة،

وعايزه توقعنا واحد ورا الثاني، خلي بالك منها وخلي بالك

من «حلمي» كمان هو فين.

يسكت «حبيب» لتبتسم مكملة:

- فكني، صدقني إنتوا في خطر من غيري، أنا الوحيد اللي

عارفه حكاياتكوا.

ينظر «حبيب» إلى «حاتم» ليشاركة مسؤولية القرار، فيومئ

«حاتم» برأسه موافقًا، لتنجح هي في نيل ما أرادت!

من عمق الجزيرة ظل «حلمي مهران» يرمق المدفن في شجن

بمشاعر متخبطة قبل أن يسمع صوتها من خلفه:

- زعلان ليه يا «حلمي»؟

يلتفت «حلمي مهران» ليرمق «وعد» فيبتسم ويقول في

هدوء:

- كنت مستنيكي.



- واتأخرت؟

- طول عمرك متأخره.

تبتسم هي الأخرى لتقول:

- بس المهم إني باجي في الآخر.

- مش دايماً.

- إنت لسه بتحبني يا «حلمي»؟

يقترّب «حلمي مهران» من خيالها ليشرح:

- أنا الصراحه كنت مستنيكي انتي بالذات عشان أتكلم

معاكي وأشرحلك.. بس المهم تفهميني يا «وعد».

يهرب من عينها متابِعًا:

- أنا معتقدش إني عمري حبيتك يا «وعد».

- إنت مصدق نفسك؟!

في ضيق تقولها في خياله، ليتابع في هدوء:

- وأكذبها ليه؟

- عشان لسه بتيجي لحد بيتي.

- خايف عليكى مش أكثر.

بكبرياء وغرور كعادته تتهكم قائلة:

- وده اسمه إيه إن شاء الله؟!



- مسؤوليه.

- وليه المسؤوليه لو مفيهاش حب؟

يستند «حلمي مهران» على صخرة ليتابع في حكمة:

- حبي ليكي مش حب راجل لست.

يظهر الضيق على «وعد»، فتصيح:

- كدااااب.

برود يتابع هو:

- وهاكذب ليه؟ إنتي عمري ما عاملتيني كراجل عشان
أعاملك كست، عمرك ما كنتي زوجه أو شريكه.

يقولها ثم يعود ليقف مقترباً منها:

- إنتي كنتي أكثر إنسانه أنانيه عرفتها، إنتي زيك زي العيال،
بيتولدوا بأنانيه لما بيلاقوا كل حاجه عندهم، ما بيعرفوش قيمة
أي حاجه ولا أي حد..

هي دي حقيقتك يا «وعد»، إنتي اتولدتني في بوقك معلقه
دهب، أبوكي قدر يحميكي ويجيبك كل حاجه، لغاية أما
ما بقتيش تقدري اللي بيتعمل عشانك،

مقدرتيش «فؤاد» زمان ومقدرتيش بعده، ودلوقتي رجعتي
تشوفيني، إحنا بني آدمين مش لعب.

تدمع «وعد» بطفولة متسائلة:

- هو أنا وحشه أوي كده؟!



- بالعكس، وهو ده اللي مصبرني عليك يا «وعد»، إنتي
شرك ساذج برضه يا «وعد» زي الأطفال، ويمكن دي أحلى
حاجه فيكي، إنك رغم أنانيتك لسه بريئه يا «وعد».

- أنا مش فاهمه حاجه!

- مش بقولك طفله؟!

- يعني بتحبني؟

تتساءل «وعد» بسذاجة:

- ممكن أحبك وممكن أزعل منك، بس عمري ما أبعد عنك.

- يعني هاترجعلي؟

ظنته حبًا فابتسمت، قبل أن يجيبها قاطعًا:

- أكيد لآ، لإني مش بدور على طفله تبقى مسؤوله مني، أنا
بدور على حضن يبقى مسؤول عني.

يقولها ليجن جنونها صارخة:

- مش هاتلاقيه وهاترجعلي يا «حلمي»!!

- إمشي يا «وعد».

يقولها وهو يغادر تاركًا إياها واضعًا يده في جيبه.

- مش هامشي يا «حلمي»، أنا هافضل في عقلك لآخر

العمر، ولو قدرت عليا مش هاتقدر على ابنك.

تقولها وتختفي، ليجد «حلمي مهران» ابنه أمامه، فيتوقف

متفاجئًا، فلم يكن يتوقعه بالفعل:

- إنت نسييتني يا بابا؟!!

يتناسى «حلمي مهران» أنه يتحدث لخياله، فيتحدث بدفء حقيقي:

- أنا عمري ما نسييتك يا «وليد».

- أومال مجتش تكمل لعب معايا ليه؟

- عشان بحل قضيه مهمه.

يبتسم «وليد» ليقول بدهاء:

- أساعدك فيها.

يبتسم «حلمي مهران» هو الآخر مستجيبًا:

- تصدق أنا فعلاً محتاج مساعده.

- خلاص يالا بينا نحلها زي أول قضيه.

يقولها لبدأ هذا الشبل في مشاركة ذاك الأسد لحل تلك القضية الخامسة، لبدأ فعلاً في لفت انتباه «حلمي مهران» لما ينقصه لحل القضية، لتتغير رؤيته ورؤياه بالفعل للبقية من حوله الذين كانوا عند الشاطئ يبحثون عن «فرح» التي عادت للتو واطعة موسيقاها في أذنها. يقترب «حبيب» سعيدًا بوصولها عكس «هدى» التي كان قد حررها من قيودها بالفعل، إذ يقول:

- «فرح» كنتي فين ده كله؟!!



لم تجبه وهي تنظر إلى «هدى»، ليعلل «حبيب»:

- أنا فكيت «هدى» عشان كنت محتاج حد يساعدني...

يظهر على «فرح» القبول ليتساءل:

- إنتي تمام؟!!

تومئ هي برأسها إيجاباً ليستوضح:

- يعني كان فعلاً سوء تفاهم زي ما «هدى» كانت بتقول؟

تساءل «حبيب» عما حدث بينهما في ادعاء كاذب للمسؤولية، لتومئ «فرح» بالإيجاب مرة أخرى، لتبتسم «هدى» التي كانت تجهل حقيقة «فرح».

- مش قتللكوا «سيف» هو اللي ظلمني...؟!!

تقولها وهي تنظر شامتة إلى «جميلة» المقيدة، ليعلق «حبيب»:

- خلاص... أهو راح لحاله.

- لأ إنت لازم تسمعي.

تحاول «هدى» المدافعة عن نفسها مكررة:

- لأ، مش لازم أسمعك، مش معنى إني فكيتك إني واثق فيكي، أنا الصراحه مش واثق في ولا واحد فيكوا، بس خلاص متبقي ليله واحده، رنا يعديها على خير، وكل واحد يخلي باله بقى من نفسه.

يقولها «حبيب» قبل أن تعيد «فرح» وضع موسيقاها في



أذنها وتبتعد راکضة كعادتها، بينما يتسم «حاتم» إلى «حبيب» في نظرة ذات معنى قبل أن يتوجه إلى البحر ونسيمه، ليتحرك كل منهم في واديه لدفع الوقت إلى الأمام، فها هو المساء قد حلّ، لتبدأ وقائع الليلة الأخيرة عندما يعود جميعهم إلى نفس المكان مستسلمين في رهبة من تلك الليلة التي ستبدأ تتلاعب بعقولهم، فها هو «حلمي مهران» يتحرك في عمق الجزيرة هاربًا من رؤياه قبل أن يستوقفه «فؤاد» زوج طليقته للتو:

- مستعجل على إيه؟

يتفهم «حلمي مهران» شر رؤياه فور ظهور «فؤاد» قائلاً:

- الصراحه إنت الوحيد اللي مش مستنيه.

قالها «حلمي مهران»، فتابع طريقه دون أن يتوقف.

- هاتفصل تتجاهلني لإمتى؟

يتبعه «فؤاد»:

- على فكره أنا أكثر واحد هاتفعله حساب الفتره اللي جايه،

وخلي بالك، إبنك اللي انت فرحان بيه ده متربي في بيتي.

يتوقف «حلمي مهران» فور تحدّثه عن «وليد».

- لفت انتباهك دلوقتي؟! بس بسم الله ما شاء الله، إبنك

عبقري، حل معاك القضية هوا.

يلتفت «حلمي مهران» إلى خياله قائلاً:

- إنت عارف لو هوبت ناحية ابني، أنا هاعمل فيك إيه...؟

- واشمعنى انت عايز تاخد مني بنتي؟

- صدقني إنت وبنتك آخر اهتماماتي.

- عمومًا ماتخافش على ابنك، أنا أنضف منك، بس انت من

النهارده كسبت عداوتي وخلقت عدو، أنصحك يا «حلمي»

ماتستهترش بيا، لإن اللي زبي لما يقلب حقيقي بيقي مؤذي.

يقولها «فؤاد» الذي اختفى تاركًا «حلمي مهران» وحيدًا في

عمق الجزيرة ليمضى في طريقه مسرعًا، غير منتبه لشر هذا

العدو اللدود الذي ينتظر اللحظة المناسبة للتريص به!

(09)

من عند الشاطئ يرمق «حلمي مهران» المشهد في ترقب إذ كانت «هدى» بجانب «حبيب» يطهيان الطعام، بينما هي تمسك بشيء ما تحاول وضعه في الطعام في غفلة من «حبيب»، إلا أنها تتردد، لينتبه «حلمي مهران» الذي كان بالطبع قد فهم ما يحدث.

- شاي «هدى» ده زي قهوة «عدلات»!

يقولها «حبيب» ساخرًا، ثم اقترب منها ليرمقها بقوة أهابتها، ليتابع:

- إيه في حاجه ناقصه في الشاي؟

- لأ خالص...

بندم تقولها قبل أن تصرف نظرًا وتعيد ما كانت ستضعه مرة أخرى في جيبها، ثم تتوجه إلى الطاولة حيث يجلس «حاتم» و«فرح» و«حلمي مهران».

- أنا حقيقي آسفه...

يندهش «حبيب» الذي يعود ليجالسهم.

- إشمعنى؟!!

تتابع «هدى» وتبدي ندمًا:

- أنا حقيقي غلطت إني جبتكوا هنا.

يعلق «حاتم» مستسلمًا:

- كل شيء مكتوب...

يقترّب «حلمي مهران» ويجلس بجانب «هدى» ثم يمد يده ليأخذ تفاحة كانت على المنضدة، وبينما هو يتحرك بجسمه إذ به يمد يده الأخرى ليأخذ ما كان في جيبها دون أن تنتبه، لتتابع هي بشيء من الندم:

- بس اللي حصل ده مكش مكتوب، أنا كنت لازم أتوقع إن «جميلة» مش هاتستحمل قصة «سيف».

يبدأ البعض تصديقها فتعترف «هدى»:

- دي غلطة مني، أنا عارفه إن محدش منكوا عايز يتكلم، بس على الأقل ممكن تسمعوني، ما هي آخر ليله خلاص.

تنظر إلى «جميلة» المقيدة في شروود.

- كان لازم أنه «سيف» مايتكلمش قبل ما «جميلة» تفهم، لإن «سيف» حقيقي كان اتغير، إن واحد زيه يتوجه للطب النفسي، ده أكبر دليل على التغيير، واحد غيره كان ممكن يحط راسه في التراب ويسكت، زي ما «جميلة» سكتت ومفضحتش أبوها.

ترمق «هدى» «جميلة» المقيدة متابعة:

- بس هي سكتت، وطلعت عقدتها على كل الرجالة اللي شافتهم، لغاية ما أذت كل اللي حواليتها وبقت وحيدته، معرفتش تكون أسره ولا بيت، مابقتش قادره تثق في حد.

يرمق الجميع «جميلة» بشيء من الرحمة.

- أنا كنت فإكراها هاتبقى مبسوطه وهي وسطنا، بس للأسف
غريزة الانتقام لسه مزروعه جواها، ياربتها كانت اتعلمت من
«سيف» وحاولت تتغير، يمكن ساعتها كانت قدرت تنسى.

يرمقها الجميع في عطف وقد بدأوا يثقون فيها، وهي تتابع:

- إحنا لو خرجنا من هنا عايشين أنا مش هارجع هنا تاني،
خلاص هارجع كندا، وباريت كل واحد منكوا يكون استفاد
حاجه.

متهكمًا يعلق «حبيب» الذي تحرك وعاد ببعض العصائر
ليقدمها للجميع.

- نفعيه برضه!...

- أكيد.

تؤكد وهي تأخذ العصير، ليتدخل «حلمي مهران»:

- واللي راحوا يا دكتوراه؟

- نصيبهم.

بذا علقت «هدى» ليحدها «حلمي مهران»:

- لأ اسمحيلي، ماينفعلش اللي راحوا يروحوا هدر...

- وهو أنا هاعمل إيه؟!

- لازم التجربه تكمل.

بقوة يقولها «حلمي مهران» لتوتر «هدى» التي بدأت تشعر

بالدوار فجأة بينما ينظر «حبيب» إلى «فرح» مندهشًا و«حلمي»
مهراّن» يرقبهم، قبل أن يوضح:

- قصدي تجربة العلاج يعني.

يقولها متلاعبًا بالحديث، ليزداد الدوار على «هدى»، لتعيد
النظر إلى الكوب الموضوع أمامها.

- أكيد.

فجأة يتدخل «حاتم» في النقاش:

- ماحدث بيروح هدر، ده قدر ومكتوب.

يقولها وهو يشير بيده جهة السماء، ليظل الجميع مندهشين
من تدخله قبل أن يتابع:

- أومال انتوا فاكرني ساكت ليه؟ أنا ساكت عشان الكلام
ملوش لزوم، كله مقدر ومكتوب، مش كده يا «حلمي»؟! مش
كده يا دكتور «حبيب»!؟

يقولها «حاتم» وهو يرمق كل منهما بنظرة ذات معنى، ليتوتر
«حبيب» وبسأله:

- أكيد طبعًا، طيب ماتحكيلنا حكايتك مكتوب فيها إيه؟

- أنا حكايتي أبسط كثير من حكاويكوا، عشان كده كنت
ساکت.

- مفيش حكايه هنا بسيطه، أنا مذاكره حواديتكوا كلها،
اتكلم وخليهم يحكموا.

قالتها «هدى» لينظر «حاتم» إلى «فرح»، ثم يقول مشاكسًا
براءتها الكاذبة:

- طيب لو انتي وافقتي هاتكلم وأحكي.

تبتسم «فرح» بفضول ليكمل «حاتم»:

- ماشي.. أنا كابتن «حاتم»، طول عمري بحب البحر، وده
اللي خلاني آجي، أنا مش جاي أحكي لأ، أنا جاي للبحر
اللي لما يناديني ماينف عش مالبيش النداء، والبحر نداني من
صغري، حبيته وحبيت غموضه وعمري ما لقيت إجابات على
أسئلته، عشان كده اتعودت مسألش كثير، وأسيبله نفسي
وأجري وسط الريح، مفيش حاجه تحوشني.

يقولها «حاتم» متذكرًا الكثير من ذكرياته، لتظل سفينته تلازم
خياله الآن وهو يتابع:

- بعدت عن أهلي، وسيبت الدنيا كلها واخترت البحر بمنتهى
الأنانيه، ماشوفتش أمي يوم وفاتها، ماودعتش أبويا، نسيت
كل حاجه قدام البدله البيضاء، اللي وأنا لابسها بحس إنني زي
السمكه لازم أكون في الميه، ولو لبستها في البر بحس إنني
مخنوق وبصبر نفسي وبكذب عشان أصدق إنني لسه على
البحر، وفي اليوم ده نسيت إنني كنت على الأرض..!

يقولها رجوعًا بالنهار إلى زمن ولّى، ومن ميناء ما بجانب
سفينته الراسية حين خرج «حاتم» منها مودعًا طاقمه الذين
يتوقفون له محيين إياه:

- ده فعلاً كان اليوم الأخير.



قالها وتابع ذكراه حين توجه يومها إلى سيارته الفارهة المصفوفة له خصيصًا عند رصيف الميناء، ليأخذ مفتاحها ليبدأ قيادتها بثقة متجهًا إلى بيته ليقوم بقيادتها مسرعًا ليغمض عينيه، بينما صوته يتردد في أعماقه قبل جريانه على لسانه:
- كالعاده، البدله نستني إني على الأرض.

يعلق هو متذكرًا هذا الطفل الذي يقود دراجته بمنتصف الطريق.

- وفي اللحظة دي ظهر فيها طفل على عجلته، اللحظة دي مرت عليا سنه.

قالها لهم متذكرًا تلك اللحظة المتجسدة الآن من أمامه يكاد يرمق كل تفاصيلها، ليتابع:

- شوفت في وشه عمر طويل وأمل، في نفس اللحظة حسيته إيني، كان لازم أختار بين مستقبلي وحياته.
يبتسم الطفل له في خياله، فيقول «حاتم»:

- أول مره أتخلى عن أنانيتي، والغريبه إني فضلت على نفسي حد معرفهوش، مجرد طفل حسني لحظه بالإيثارة!

تفادى «حاتم» حينها الطفل مبتسمًا، لتقلب السيارة عدة مرات قبل أن ترسو بين الرمال، ليخسر «حاتم» في هذا الحادث قدمه ومستقبله المهني عامة والبحر خاصة.. يعود إلى حاضره الآن ليجد هذا الطفل عند المياها يبتسم إليه بجانب والديه، ليبتسم لهم هو الآخر ويكمل:



- بس أنا عارف إني اخترت صح، يمكن الطفل ده يكبر
ويبقى دكتور كبير وينقذ ناس كتيره، بدل الدكاتره اللي ظلموني
دول... هههه.

يقولها متذكرًا أخطاء الكثير من الأطباء، ليبتسم «حاتم»
مخفيًا دموعه قبل أن يتوجّه إلى «فرح» بسؤاله:

- إنتي بقى مابتتكلميش ليه؟! ماتبقاش غيرك تقوليننا إيه
اللي مزعلك، ده انتي لسه صغيره!!

تهرب «فرح» من الحديث لتتدخل «هدى» قائلةً:

- «فرح» بقالها فتره مابتتكلمش.

- بس ده ملوش علاقه بالأوتيزم، ولّا إيه يا «حلمي»؟

يقولها «حاتم» فيظهر الضيق على «حلمي مهران» قبل أن
يتابع «حاتم»:

- أكيد بتتواصلوا سوا بسهولة.

بصوتٍ قوي يجيبه «حلمي مهران» قائلاً:

- أنا معنديش توحده.

يقولها «حلمي مهران» وهو يرمقها يحاول التواصل مع
«فرح» دون فائدة ليعقب:

- ولا «فرح» كمان..

تتوتر «فرح» التي شعرت بأنها انكشفت، لتتساءل «هدى»:

- عرفت منين يا «حلمي» فعلاً «فرح» معندهاش أوتيزم

بالمعنى المفهوم؟ بس السكوت ده ملوش علاقه بطفولتها،
دي من أعراض الزعل وزاد بعد كده بعد كذا صدمه.

يتدخل «حبيب» بخبت شديد:

- طيب ما تحكيلنا انتي يا دكتوره.

تنظر «هدى» إلى «فرح» التي تأذن لها بالحديث لتشرع:

- «فرح» اتولدت باضطراب فرط الحركة وتشتت الانتباه،
وده مش مرض، على قد ما هو اختلاف جيني، بس للأسف
أبوها مافهمش ده وسابها مع أختها الكبيرة اللي راعتها بعد ما
أمها اتوفت.

بصورة واضحة تبدو «فرح» وهي ترمق «هدى» إذ تردف
متابعة:

- كانت بالنسبة ليها أم مش أخت، وقدرت تقرا عن حالتها،
وخليتها تتوجه للرياضه.

تشرذ «فرح» فيما تتحدث به «هدى»، لتذهب إلى توثيق ما
تقوله بصور ذهنية الآن ترتسم في خيالها، خاصة هذا الحائط
الذي كان في غرفتها، حيث بعض أجمل صورها الجدارية مع
أختها «مي» صورٍ تحفظها جيدًا عن ظهر قلب لكل مراحل
نشأتها سويًا، بينما تابعت «هدى» مجددًا:

- عشان تلاقي «فرح» شغف ياخذ من وقتها أكثر من تمن
ساعات في اليوم.

مرة أخرى تعود «فرح» إلى أجمل صورها الرياضية المحببة

إلى قلبها قبل أن تصفن في هذا اليوم الأخير الذي اعتزلت فيه، بينما تتابع «هدى» حديثها:

- وفي الآخر تبقى واحده من أبطال مصر في الأولمبياد ثلاث بطولات ورا بعض.

وهنا يتساءل «حاتم»:

- طيب وهي دي إيه اللي مقعدها معنا هنا؟!!

- للأسف الرياضة دي مرهقه للجسم ولازم الاعتزال فيها في سن صغير..

قالتها لتتذكر «فرح» يوم إصابتها هذه من إحدى صالات الألعاب، حين برزت «فرح» على المسرح الاستعراضى لهذه الألعاب تحاول القيام بحركة جريئة، لتواجه صعوبة في القيام بها عدة مرات، ليتدخل المدرب، قبل أن تصرخ «مي» لها في قلق شديد:

- يا «فرح» خلاص، جسمك مش مساعدك، بلاش مقاوحه.

يزداد غضب «فرح» لتدفع مدربها بطريقة هستيرية، فيقع الرجل مندهشًا، قبل أن تحاول تكرار تلك الحركة، فتقفز عاليًا لتقع مرة أخرى وإن كانت تلك المرة هي الأخيرة لها في هذا العالم لتبدأ الصراخ، وحالما عاد المدرب إليها غاضبًا دفعته مرة أخرى رغم إصابتها لتتابع الصياح بطريقة هستيرية، ثم برزت متألّمة إلى الخارج، في حالةٍ يُرثى لها من التوجع قد أمضى كبدها الصغير ألمًا عسيرًا، لتدمع هي الآن من بينهم عند تذكر تلك الذكرى قبل أن تكمل «هدى»:

- أول ما خسرت «فرح» الحاجة اللي عاشت عشانها، رجعت
تزيد عليها أعراض الاضطراب، مع زياده في أعراض التوحد..

قالتها «هدى» قبل أن تزيد من الشعر بيتًا:

- وعشان كده أختها جابتهالي عشان نبدأ العلاج، بس
للأسف حالتها ساءت.

يتساءل «حبيب»:

- وبا ترى ليه «فرح» حالتها ساءت يا دكتوراه؟!

- عشان أختها اتخلت عنها ومشيت.

- مشيت فين يا دكتوراه؟!

بخبت يسأل «حبيب» لتجيبه متوترة:

- مش فاهمه!

يبتسم «حلمي مهران» معلقًا:

- «حبيب» يقصد إن أخت بالمواصفات دي، أكيد ماينفعش

تتخلى أبدًا عن أختها، ده طبع ويغلب التطبع..!

يبتسم «حبيب» الذي شعر بالدعم للوهلة الأولى، بينما

ترتعش «فرح» عند سماع ما حدث، ليكمل «حلمي مهران»

تساؤله الخبيث:

- ماتجاويني يا دكتوراه!

تتوتر «هدى» وهي تمسك برأسها:



- محدش عارف، هي هربت من مسؤوليتها واختفت.

تنفعل للتو «فرح» منزعةً عندما تتذكر، لتقف وتبدأ الركض مبتعدة، من خلفها يقف «حبيب» في توتر حقيقي.

- «فرح».

- مش هاتعرف تلحقها، هي هاترجع...

قالتها «هدى» ليعلق «حلمي مهران»:

- ما اللي سبقوها مارجعوش.

- إنت هاتعوم على عومهم؟

مرتابًا منها يصارحها «حبيب» متدخلًا:

- أنا الصراحه لسه مش قادر أثق فيكي، بس هي ليله، نتقسم

فيها مجموعتين، عشان لو حصل حاجه نعرف مين فينا الغدار.

- يعني إيه؟!

تتساءل هي، ليوضح:

- يعني أنا هاشوفلي أي حته بعيده أنام فيها، وهاخد معايا

الأستاذ «حلمي» والأستاذ «حاتم»، وهانسبيكوا هنا والصبح

رياح.

يقولها ثم يتبع مستدعيًا إياهم، مُحفزًا:

- هاتيبي معايا يا أستاذ «حاتم»؟

بسعادة ينظر «حاتم» إلى «حبيب» متسائلًا بسخرية:



- أكيد.. هو أنا هاخاف ولا إيه؟!!!

بقوة يقولها، ليتوتر «حبيب» قبل أن يتدخل «حلمي مهران»
هو الآخر:

- وأنا كمان جاي معاكوا، إحنا حتى لسه مخلصناش كلامنا.

يقولها قبل أن يتحرك معهم ساندًا «حاتم» مبتعدين، ولمّا
تأكدت «هدى» من ابتعاد «حبيب» و«حلمي مهران» و«حاتم»
أخذت تنظر حولها قبل أن تبتعد غائصة في عمق الجزيرة!!

تصل «هدى» إلى المكان الموضوع فيه الهاتف، لتجده في
مكانه فتتصل بـ «أشرف» ولكنه لم يجب، فقد كان ينزل سلم
اليخت، قبل أن يتوجه إلى باب ما ليفتحه ويأخذ عدة الحفر
ليسمع تكرار صوت الهاتف فيهرع عائدًا إليه، قبل أن يخطف
من على اللسان الخشبي «سميحة» تنظر إليه في عتاب وفي
يدها الأجندة الحمراء ليتجاهلها ويتوجه إلى الهاتف ليجيب:

- «هدى»!

- أومال هاكون مين يعني؟!

- إنت كنت فين كل ده، وفين البضاعه؟!

- عندك جثة «سيف» في نفس المكان.

تقولها ببرود مريض ليكمل هو جشعه:

- والباقي فين؟ ده مافضلش غير الليله.

- مفيش باقي، الأمور خرجت عن سيطرتي، في حد هنا

بيلعب بيا، كفايه لحد كده.

يبتسم وهو يبصر «سميحة» من بعيد:

- لأ مش كفايه يا «هدى»، إحنا متفقين إن كل واحد منا يشوف شغله... إنتي تجربي أدويتك عليهم، وأنا أصرف الجثث.

قالها كاشفاً حقيقته:

- إنت مابتشبعش يا «أشرف»!؟!

- تلميذك يا دكتور.

- بس أنا خايفه ومش عايزه أكمل.

بصدق قالتها ليرفض:

- وأنا عايز بضاعتي كلها لو عايزه ترجعي من على الجزيرة دي، ومش هافكرك إن لو واحد بس خرج منهم عايش الحدوته كلها هاتنكشف، وطبعاً لما انتي تسافري، وأكيد مش هاتوفي بوعدك وتاخديني، وأنا اللي هاقع لوحدي، هي مش دي كانت تجربتك الأخيرة برضه!!؟!

- أيوه يا «أشرف» أنا مش هارجع هنا تاني.

بحرقة أكدت شكوكه:

- ما أنا عارف.

ينهي «أشرف» الاتصال وهو لا يزال يبصر «سميحة» من بعيد، جالسةً مكانه في تراس الكوخ، ليظل «أشرف» يرمقها،

ثم ينظر إلى البحر ليتذكر ماضيه، خاصة تلك اللحظة الغابرة التي كسرت فيها خطيبته ظهره عندما كانا في كلية الطب سوياً:

- يا «أشرف» يعني إيه ماتحضرش الامتحان؟!!

قالتها خطيبته الشقراء حينها من أمام مبنى بالجامعة، ليجيبها «أشرف» متفاعلاً:

- مش مهم أنا أحضر، أنا مش ذاكرتلك وانتي نجحتي وجبتي امتياز كمان!!

تجيب خطيبته العشرينية:

- ما هي دي المشكله، إنت أشطر واحد في الدفعه، إزاي تسقط؟!!

- أنا مسقطتش يا حبيبتي، أنا محضرتش، في فرق.

- لا مفيش فرق، أنا بقيت أكبر منك بدفعتين يا «أشرف».

- وأنا أعمل إيه؟! ما أنا لازم أشتغل!

- يا «أشرف» إنت دكتور عبقرى، ما ينفعش تسبب نفسك كده.

- هو أنا أبويا زي أبوكي، بيصرف عليا؟....

قالها بحقد واضح استغلته هي قائلة:

- إنت هاتفضل كده الحقد والجحود ماليين قلبك، حتى لأقرب الناس ليك؟! أنا آسفه يا «أشرف» مش هاقدر أكمل.



- هاتندي .

بغضب قالها ، لتتابع هي هروبا:

- أنا ندمت فعلاً بس مش عليك، أنا ندمت على الوقت اللي
قضيته معاك .

تتحرك خطيبته لتتركه قبل أن تظهر الدكتور «هدى» خارجةً
من محاضرتها التي كانت تحاضرها توًا، لتتوجه إليه .

- مالك يا «أشرف»؟

- ولا حاجة يا دكتور .

تبتسم «هدى» وهي تخطف نظرة لخطيبته التي تحركت
بعيدًا، لتبدأ بوضع شباكها .

- أنا زعلانه عليك يا «أشرف»، إنت طالب ذكي ونابعه،
خساره السقوط ده كله، واحد غيرك كان زمانه عندنا في كندا
بيحضر دكتوراه .

يتفاجأ «أشرف» مرددًا:

- كندا!!!

- أيوه يا «أشرف»، اللي زيك مكانه مش هنا ..

- إزاي بس يا دكتوراه؟! هو أنا الشغل عارف يخليني أنجح
لما اتخرج؟!!

- يبقى تلاقى شغل، يقدر دراستك ويساعدك تنجح ...

- وهو فين الشغل ده يا دكتوراه?!!



مبتسمة تعلق قائلة:

- أنا أقولك... .



(10)

يجثم الليل على الشاطئ، مبيتًا النية على فعل بعض ما لا يليق، فإنه ليلٌ ساتر، وإن كان ستره مُخرمًا ممزقًا، وإنها ليلة قد تكون هي الأخيرة على الجزيرة العزباء، وغدت الآن أوسع ما يكون اتساعًا شاسعةً قابلةً للمزيد والمزيد حيث كان «حبيب» الآن مع «حلمي مهران» و«حاتم» يتوجهون ناحية منطقة هادئة وإن كان خيال «حبيب» قد بدأ يخونه حيث لاحظ حركة من بعيد توقعها «حلمي مهران» بالطبع قبل أن يجلس ثلاثتهم بينما بقي «حبيب» متوترًا، يرمق من بعيد «حلمي مهران» -هو الآخر- شيئًا ما، فيقول:

- أنا هاتمشى شويه وأرجعلكم.

يقولها «حلمي مهران» قبل أن يحاول «حبيب» الاستعلام عما يحيط به:

- مش هانتكلم؟

- هايحصل مش هاتأخر.

من ثمَّ يتحرك «حلمي مهران» عدة خطوات لعمق الجزيرة، غاطسًا في عمقها، يبحث عن تلك الحركة التي رمقها في خيال «حبيب» رغم تكتمه، حتى وجدها.. «فرح» كانت تركض كعادتها قبل أن تقف متعبة، فظن أن عقله قد خدعه، إلا أنه ظل يراقبها دون أن تدري، لتبدأ هي التحدث مع خيال ما.

- أنا كنت عارفه إني هاشوفك هنا!!..

قالتها «فرح» ناطقة للمرة الأولى أمام «حلمي مهران» غير المندهش ليظل يحاول إدراك صاحبة هذا الخيال فوجدها أختها «مي» التي كان يجهل معرفة هويتها في البداية، وقد كانت واقفة كالملاك حافية القدمين، تتحرك بانسيابية في خيال «فرح» العاري أمام «حلمي مهران»:

- ما أنا مت هنا.

- عشان كده جيتلك يا «مي».

تبتسم «مي» قائلةً:

- مع إنك ماشريتيش اللي شربوه.

قالتها «مي» مشيرة إلى تلك المادة التي وقع ضحيتها كل زوار تلك الجزيرة، إلا أن «فرح» فاجأتها:

- النهارده شربت منه.

- ليه؟!!

- كنت محتاجه أشوفك، إنتي أختي، وكنتي أغلى حاجة

عندي.

- مكنتش محتاجه كل ده يا «فرح» أنا علطول معاكي!

- لآ، أنا علطول لوحدي، خصوصًا بعد ما مشيتي.

- ممشيتش بكيفي.

- عشان كده أنا جيت.

تتوتر «مي» مقتربة من «فرح»:

- إنتي جيتي ليه يا «فرح»؟

- عشان آخذ حقك.

يزداد هلع «مي» التي تقترب من «فرح» في خوف قبل أن تتجه بنظرها خلفها، بالتحديد إلى «حلمي مهران» الذي استطاعت رؤيته كما فعل فيتوتر وبتقهقر إلى الخلف هاربًا في عمق الجزيرة راکضًا، فلقد كانت «مي» مخيفة رغم براءتها، ليظل ينظر خلفه في توتر قبل أن تستوقفه «مي» من أمامه في تحدّ جريء!

- على فين يا «حلمي»!؟

توقف «حلمي مهران» للتو في قلق، فقد كان يعرف أن سر الجزيرة عندها منذ البداية، فقد كانت هي المحرك الأساسي لكل تلك الأحداث التي ثقلت روحها لتصبح ثقيلة رغمًا عنها، ورغم براءتها، لتحاول هي وقف النزيف قائلة:

- أنا عايزاك انت يا «حلمي».

- إنتي مين؟!!

- إنت عارف، ما انت بتشوف كل حاجه.

- إنتي مي أخت «فرح».

تبتسم «مي» لتتابع:

- مش بس كده، وانت عارف.

قالتها لتكشف له جزءًا من الحقيقة، بينما من على بعد عدة

خطوات كان «حبيب» هناك عند الشاطئ في هذا الليل الأسود
البهيم جالسًا بجانب «حاتم» على الشاطئ، ومن أمامهما
كوبان للشاي..

- إيه رأيك بقى في المكان ده؟!

تساءل «حبيب» ليجيب «حاتم» بفلسفته المعهودة:

- مش مهم المكان، المهم البحر يا «حبيب»، آسف يا دكتور
«حبيب»!

أضافها مشيرًا إلى ما يعرف، ليهرب «حبيب» متسائلًا:

- إنت لسه البحر بيندهك؟!

- ما أنا حكيتلك، السؤال بقى: إنت ليه يا دكتور مراتك
مابتندهكش زينا ليه؟!

- مش فاهم!..

- إوعى تكون فاهم يا دكتور إني غبي زي الباقي، لأ، أنا
كابتن قبطان، يعني في مركبي بقى مسؤول عن آلاف البني
آدمين!!

- طيب مش غريبه إن واحد زيك يكون هنا برضه؟

- هو مش إحنا اتفقنا إن أنا هنا لسبب؟

تعود «هدى» إلى المخيم ليلتها هذه حيث تجد «فرح» قد
عادت هناك، لدى الطاولة تشرب شايًا ساخنًا من إبريقٍ



موضوع أمامها تصبُّ منه، لتبدأ «هدى» في غرور التحدث
قائلة:

- رجعتي زي ما كنت أنا متوقعه، عارفه انتي رغم لياقتك
دي ضعيفه أوي يا «فرح» والدنيا دي عايزه القوي مش
الضعيف؟!!

تقولها «هدى» جاهلة حقيقتها وهي تصب شيئاً من أمام
«فرح» المبتسمة، وإن بدأ الدوار يعتربها من جديد!

من عمق الجزيرة كانت «مي» تكمل حديثها لـ «حلمي
مهران» بعدما أفصحت عن الكثير.

- أنا عارفه إنني اللي حكيت هولك إنت عارفه، وممكن كمان
يكون صادم، بس هو ما يختلفش عنك، إنتوا الاتنين بتحبوا
الانتقام!!!

قالتها في إشارة له، المخطط لكل تلك الأحداث المستجدة،
لنذهب إليه حيث كان لا يزال يجلس عند الشاطئ الهادئ
بجانب صديقه الأخير ومن أمامها مشروبان، ليقف «حاتم» يلف
حوله رغم عكازه، قائلاً:

- للأسف يا دكتور بعد اللي شوفته مابقاش ينفع السكوت،
عشان كده إنت عارف كويس إن في واحد مننا لازم يموت
النهارده.



من عند المخيم تقف «هدى» فجأة من أمام «فرح» لتتحرك كالمنومة وكأنها ترى شيئاً ما، لتقترب منها محدقة ومركزة على نظرات ذهولها!! فقد شربت مما شربوا جميعاً لتبدأ رؤباها هي الأخرى حيث تفتح عينيها، فإذا بها داخل تلك الغرفة البيضاء الخالية من كل شيء عدا الباب أمامها!! تظل «هدى» تنظر إلى يمينها ويسارها مندهشة قبل أن تقترب من هذا الباب لتفتحه، لتجد نفسها قد عادت للماضي بملابس مختلفة حين كانت بـ «كندا» في تلك الغرفة البيضاء الخالية إلا من مكتب معدني أمامها، والجالس خلفه رجل يبدو عليه أنه أجنبي حين أشار لها لتجلس قائلاً:

- تفضلي يا «هدى» اجلسي.

برهبة اقتربت «هدى» حينها لتجلس من أمامه في قلق، فقد كان من أعلى رؤساء شركتها.

- بالطبع تتساءلين، لم اخترانك خصيصة دون غيرك للرجوع إلى «مصر»؟

بعربية ركيكة قالها، فقد درس «آدم» العربية ليستطيع عقد صفقاته دون مترجم، فكلها صفقات سرية للغاية.

- بالطبع تعرفين الدواء الذي نقوم باختباره حالياً، كما تعلمين أهمية نجاح هذا الدواء، بينقد كل مرضى الاكتئاب ليستطيعوا العيش لسنوات أطول.

بمعرفة تعلق «هدى»:

- بس حضرتك عارف إن حتى لو الدوا اشتغل، الأوهام مش



هاتفارق المريض، وهايفضل يشوف أسوأ ما فيه..

بجدارة يوضح «آدم»:

- لذا واجبنا الاستمرار في تطوير الدواء.

- بس ده لو نجح أصلاً...

- بالطبع سينجح، ولكنك تعلمين صعوبة تجربة مثل تلك الأدوية هنا، والحكومة تسلمنا أعداد قليلة جداً للتجارب وبشروط صعبة للتنفيذ، وحتى إن أردنا التعاقد مع أي دولة نامية ستضطرنا إلى دفع المليارات للتجربة على رعاياها، كما أنهم يفرضون شروطهم أيضاً في النهاية.

تنظر «هدى» إلى «آدم» بذكاء لبيتسم، ولتعرض هي:

- واحنا طبعاً مش عايزين شروط...

عودة لـ «حلمي مهران» الذي يقف خارجاً أمام «مي» في هذه الساعة من الليل، ممسكاً برأسه، من هول ما اكتشف:

- والناس اللي ماتت؟!

تجيبه «مي» بحقيقتها:

- ما أنا منهم.

- والباقي؟!!

- يمكن الدوا لو اطّور، ناس تانيه تستفيد.

يندهش «حلمي مهران» مستفهماً:

- يعني إنتي موافقه؟!

- أكيد لأ، بس دلوقتي بفكر بالمنفعه.

- إنت كمان؟!

من عند الشاطئ الهادئ عكس ما سيحدث، يظل «حاتم» يرمق «حبيب» إذ يقول:

- أنا شوفت اللي حصل لـ «سميحة»، وصعب تقنعني إنها برضه تهيئات.

كان يقصد ركوبها للمركب، فلم تركبه دون مساعدة بالطبع.

- «حلمي» كمان شاف معايا، بس هو مش عايز يواجهنا بالحقيقه، إحنا شوفناك معاها قبل ما تختفي، وبعدها أنا راقبتكوا كلكوا، وانت الوحيد اللي مختلف، ودلوقتي اتأكدت إن إنت اللي ورا كل الحكايه..!!

- ولو شايف كده، سكتوا ليه؟!!

تساءل «حبيب» مستغرباً شكوكه من البداية، ليعلل «حاتم» قائلاً:

- أنا معرفش «حلمي» سكت ليه! لكن أنا سكت عشان زي ما قلتلك أنا جيت هنا لسبب.

مقترباً بصعوبة يتابع في فخر:



- إنت فكرك إني خايف؟ بالعكس، أنا كنت خايف أتعالج،
وبعدين هو أنا هلاقي موته أحسن من دي فين؟! أنا عايز
أموت هنا وسط البحر زي ما اتفقنا بالضبط، ولّا انت ناوي
ترجع في كلامك يا دكتور؟!!

يقولها ملمحًا إلى ما اتفقنا عليه عندما كانا عند قبر في
اللحظة التي مد فيها «حبيب» يده ليخرج «حاتم» الذي قص
عليه الكثير، ليتفق «حبيب» على القيام بما يبتغي «حاتم» من
البداية، على الموت الهادئ دون ألم!

في جراءة يمد «حبيب» يده إلى «حاتم» بالمشروب، ليرمقه
«حاتم» بابتسامة استغراب؛ لينظر نظرة فهم لـ «حبيب» الذي
أكد له الحقيقة وأنه سيوفي بوعدده، فيجلس «حاتم» ويشربه
مستمتعًا...!!

من داخل حلمها ما زالت «هدى» أمام «آدم»، وقد صارت
على طبيعتها القوية، لتتساءل بوحشية:

- بس الدوا ده لو منجحش ممكن يقتل.

- لذا نحتاج إلى أعداد كثيرة لكل تجربة.

- بس دول أهلي.

حاولت المتاجرة بأبناء وطنها، ليضحك «آدم» وهو يقف، ثم
يجلس على الكرسي المقابل لها:

- نحن نعلم عنك الكثير، ونعلم كرهك لأهلك منذ تخلي



والدك عن أمك لمساعدة بلده.

يقترب بشره، ليتابع بقوة:

- تلك البلد التي كانت السبب في فك أسرتك وهجره
لوالدتك بعدما صنعنا منه عالم كبير، لم يكن أبوكي أبدًا وفيًا
لنا، عكسك، لذا حانت ساعتك، لتصبحي أعظم منه وليتذكرك
التاريخ بحروف من نور.

يسكت برهة بعدما تأكد أنها كادت توافقه، ليتابع بشره وهو
يرى لمعة جشع عينيها:

- أما إن لم تهتمي بكل ذلك، فأنتِ بالطبع تعلمين مكاسب
الشركة إذا نجحنا في إطلاق الدواء، إنها المليارات يا
عزبتي، وبالطبع ستكون الشركة سخية، بل سخية جدًا معك.
تبتسم له حينها «هدى» متسائلة:

- كام؟

يبتسم «آدم» عندما تأكد من رخصها ليفصح عن الثمن:

- عشرون مليون، دولار بالطبع.

تبتلع «هدى» ريقها، إذ تَبْرُقُ عيناها:

- موافقه...

يبتسم «آدم» وهو يعود بظهره إلى الخلف مستريحًا.

- تلك التجربة لا تحتاج إلى مشاعر.

بثقة وحشية تقول:



- أنا معنديش مشاعر ولا قلب، وبعدين ماهما كده كده
ميتين..!!

قالتها حينها لتعود الآن «هدى» إلى واقعها، لتبخر ذكرياتها
النجسة من أمامها بعدما فُضح المستور لتجد نفسها أمام
«فرح» صامتةً بينما «جميلة» مُقابلها مقيدةً في رهبة، لتبتسم
«هدى» وهي تتناول سكينًا كانت موضوعةً على المنضدة،
لتبدأ في إراقة الدماء.

يضع «حاتم» كوب شايه، قبل أن تبدأ تلك التهيؤات تصيبه
ضاربةً رأسه حيث يبدأ بسماع تلك السارينة، فيفتر ثغره عن
ابتسامة قائلًا:

- سامع يا دكتور «حبيب» اللي أنا سامعه؟!..

ظهر «حبيب» بجانبه غافلًا:

- المركب جت، المركب جت، مركب القبطان «حاتم»!!

يقولها وهو يقف في سعادة، ليتحرك بعكازه إلى مياه البحر
حيث هناك ضوء ما، بدأ «حاتم» في اتباعه، خطوة تلو الأخرى
بعكازه، حتى دخل المياه، خائضًا الغمار..!!

تكمل «هدى» على الشاطئ خطواتها ممسكة بالسكين
متوجهةً ناحية «جميلة»، بينما تنظر إلى «فرح» بتحدٍ يظهر
مرضها النفسي، وقد أخذت الأخيرة تتفوق على ذاتها!!



- ها.. يا ترى هاتيحي تنقذي «جميلة» من إيدي؟! ولأ
هاتفلي عاجزه؟!!

تقولها لتستفز «فرح» التي كانت تعلم حالتها النفسية،
لتتلاعب بها بشجاعة تتماشى مع شخصيتها:

- أكيد هاتفلي عاجزه، طيب يا ترى هاتفرجي عليًا وأنا
بقتل الحلوه دي؟!!

مشيرة إلى «جميلة» التي تصارع قيودها تحاول الاستغاثة
بـ «فرح» التي ظل صوت دقات قلبها يتصاعد شيئًا فشيئًا،
وعلامات الخوف والدُّعر تبدوان على ملامحها، حتى ملأت
وجهها!!، بينما تتابع «جميلة» صراخها:

- إلحيني يا «فرح» أبوس إيدك...

يقترّب «حلمي مهران» من «مي» مناشدًا:

- في ناس لسه هاتموت.

- ما كلنا هانموت يا «حلمي»، إنت نفسك كنت ميت.

- ورجعت لسبب.

- الحقيقه، إنت رجعت عشان الحقيقه يا «حلمي» وأديك
عرفتها.

قالتها قبل أن يشرّد «حلمي مهران» في خياله متسائلًا:

- والحق.

تقترب «مي» في إيمان به قائلة:

- في إيدك انت، أنا عارفه إن انت دايماً في قضاياك القاضي
مش المحامي، احكم بالحق قبل فوات الأوان!

- أنا بلغت من بدري.

قالها مشيراً إلى اتصاله بـ «هشام» من هاتف «هدى».

- يبقى دور المحامي هايجي.

متحفزاً:

- محامي؟!!

- أيوه محامي يا «حلمي»، إنت فعلاً مش ساحر زي ما انت
فاكر، ولا بتنجم، إنت مخك ده كنز، عشان هو فعلاً عقل
محامي، محامي بيترافع بذكاء عن الحق والعدل، يا ربت
الناس كلها زيك يا «حلمي»، أنا فخوره بيك، وأبوك كمان
فخور بيك.

تقولها وهي تشير إلى «عبد المهيمن» الذي كان هناك
خلفها، لينتبه «حلمي مهران» للتو في سعادة إلى والده من
خلفها فيتوجه إليه سعيداً كالمسحور، قبل أن يستدير إلى
«مي» ليجدها قد اختفت فيقترب من والده، الذي يقول:

- أنا آسف يا «حلمي»، حقيقي آسف!

إلى لُجة البحر ظل «حاتم» يحاول السباحة بعدما انتبه

للسراب الذي كان يتجه نحوه، ولكنه أدرك لوهلةٍ عجزه، فلم يستطع السباحة، فيبدأ بالاستسلام...!! ليفتح «حبيب» عينه من تلك الغفلة الكاذبة ليجد «حاتم» يصارع الموت، فينهض مترددًا قبل أن يتجه لإنقاذه أو جثته!!..

ليصارع «حبيب» تلك الأمواج واحدة تلو الأخرى لا يعرف لم يفعل، بل وماذا حقًا فعل، حتى استطاع أخيرًا الإمساك بـ «حاتم»، من داخل المياه ليخرج به إلى الشاطئ بصعوبة.

لدى والده يقف «حلمي مهران» مندهشًا مما يسمعه؛ حيث تابع «عبد المهيمن» اعتذاره:

- أنا عمري ما سامحت نفسي على اللي عملته فيك.
- مكش ذنبي.

قالها «حلمي مهران» ليتابع الأب، وقد اعتصره الندم:
- الذنب كله كان ذنبي أنا.

- وجاي دلوقتي تصلحه؟!

- لأ مش دلوقتي، آخر يوم قبل شهادتي أنا جيتلك يا «حلمي» وانت فاكر.

يقولها مشيرًا إلى خلف «حلمي» الذي يرمق ذكرى له في مشهد ما يحاول تذكره، في هذا اليوم الأخير قبيل استشهاده، حين ذهب ليحتضن «حلمي مهران» في طفولته، إلا أنه كان نائمًا، فهاب أن يوقظه؛ ظنًا منه أنه سيعود، ليدرك حينها

أهمية الوداع!!

ثم يردف مُذكرًا إياه:

يقفز «حلمي مهران» بالزمن إلى الخلف، إلى هذا النهار الأخير لوالده، حيث والده في مشهدٍ غير معتادٍ له، قلما فعله وهو بجانب ابنه يقبل جبينه.

- أنا آسف يا «حلمي»، أوعدك لما آجي النهارده معاملتي هاتغير، عشان انت غيرتني يا بني، حقيقي إنت أعظم حاجه حصلتلي.

قالها «عبد المهيمن» بصوت رخيم ظل حتى تلك اللحظة يتردد في خيال «حلمي مهران» على الجزيرة بصداه في عقله وهو يتابع:

- مكنتش عايز أصحيك، يمكن دي كانت غلطتي.

- يا ربتك صحتني يا ابويا، يا ربتك صحتني!!....

يقولها «حلمي مهران» الذي جثا أرضًا يبكي أباه الذي بالطبع اختفى.



(11)

من على الشاطئ يتأكد «حبيب» من موت «حاتم»، ليشعر بشيء من الندم بينما من خلفه ظهر «حلمي مهران» مقتربًا، فينتبه «حبيب» لقدمه ويقول مدافعًا:

- أنا ملحقتوش يا «حلمي».

- مكنش لازم توصله لهنّا عشان تحاول تلحقه.

بنظرة يرمق «حبيب» «حلمي مهران» الذي جثا أرضًا على الفور، إذ يقول:

- أظن جيه الوقت إننا نتكلم.

قالها فرضًا قوته على «حبيب» الذي استسلم بادئًا الحديث.

من عند الشاطئ المُبتلى بجرائم ليله الأثيم من حرارة الدم المُسال المسفوك على رماله اقتربت «هدى» من «جميلة» بسكينها مستمتعة بامتناع «فرح» عن الحركة، لتنظر إلى «جميلة» نظرة أخيرة:

- أبوس إيدك سيبيني أعيش.

بدموية تبتسم «هدى» وهي تقول بهدوء بارد:

- لأ.

تقولها وهي تمرر السكين على رقبة «جميلة» لتذبحها كالماعز، لتظل الأخيرة للحظات تصارع الموت من أمام عيني

«هدى» المستمتعة، فتبتسم بطريقة مرضية وتعلق:

- كان لسانك طويل أوي الصراحه.

ثم تنظر إلى يمينها حيث كانت «فرح» تبدو مصدومة من هول ما رأت، لتتابع شرها:

- معلش، أنا قتلت «جميلة»، مع إنه كان المفروض إنها تنتحر بنفسها، بس مش مهم، مش لازم كل حاجه تمشي زي ما أنا مخططالها، والصراحه مفيش وقت نعيد التجربه على فيران تانيه...

تقولها ثم تدنو بسكينها تقطر دماؤها من «فرح» المتشنجة، مستغلةً ضعفها الكاذب.

- إنتي زعلانه على «جميلة»؟ ماتزعليش، ما «أشرف» هايقطعها ويبيعها قطع غيار، أخيراً هاتبقى مفيده، زيك كده، ماهو انتي كمان لازم تموتي، مش خساره القلب ده يعيش في مخ عطلان كده!

بسادية مريضة قالتها لتكشف سرها وهي تقترب من «فرح» مع تصاعد صوت دقات قلب المسكينة الذي يزداد شيئاً فشيئاً.

- معلش بقى منفعه برضه، بس ماتخافيش أنا استفدت منك جدًا، أصلي ماشوفتش حالات زيك كثير، رغم إن في أكثر من مجموعة جت هنا، منهم أختك على فكره، ما انتي عارفه إنها جت تتعالج عندي بعد ما جابتك!

تلتف «هدى» حول نفسها كالعروس، ثم تتابع:

- هو أنا مقلتكيش إنها ماتت ماخفتش، وفي مكانك ده بالظبط، ومرضه «أشرف» قطعها قطع غيار، إيه بقى مش عايزه تروحيلها!!

تدنو «جميلة» أكثر فأكثر حتى تتوقف دقائق قلب «فرح» التي تبدو وكأنها لفظت أنفاسها الأخيرة خوفاً، لتبتسم «هدى» قائلة:

- كنت متأكده إنك هاتموتي لوحك، والله أنا بقيت عبقرية!!!

من عمق الجزيرة ذات البواطن السحيقة يقف «حبيب» أمام «حلمي مهران» لا يُبديان خوفاً لهذه البقعة المرعبة بعدما كشف كل منهما للآخر أوراقه، ليبدأ «حبيب»:

- أنا رجالتى جايه.

قالها مشيراً إلى «أشرف» الذي كان قد اقترب باليخت، لابتسم «حلمي مهران» معقباً:

- وأنا كمان بلغت ورجالتى جايه.

قالها هو الآخر مشيراً إلى «هشام» الذي كان الآن من وسط المياه الهائجة على متن يخت للداخلية يقترب من النقطة التي أشار لها «حلمي مهران» ليطرق «حبيب» أرضاً مستسلماً:

- أنا مش مسؤول عن اللي حصل.

- لآ، إنت مسؤول؁ بس أنا هدافع عنك.

يندهش «حبيب» قبل أن يدنو «حلمي مهران» منه معقبًا:

- أنا زبي زيك يا «حبيب» حبيت بجد؁ وكمان إحنا زي بعض مابنحبش الظلم.

يبتسم للتو «ابن آوى» ليكمل «حلمي مهران» قائلاً:

- بس في ناس لازم تتحاسب.

- هنحاسب مين ولآ مين؟!!

يقولها «حبيب» متفقًا مع جانب «حلمي مهران» المظلم الذي قال:

- كل واحد هيحاسب على مشاريه

قالها ثم نظر «حلمي مهران» إلى ساعة يده:

- ما قدمكش كثير.

مشيرًا إلى ما ينبغي على «حبيب» القيام به؁ قالها؁ حيث كاد «هشام» أن يقترب من المكان الذي كان لا يزال يجهله حتى تلك اللحظة.

تتحرك «هدى» بفخر وكبرياء زائف من جانب «فرح» تاركة إياها خلفها ترتعد في خوفها؁ حال هذا الشاطئ البائس؁ لتتقدم بضع خطوات وهي ممسكة بسكينها قبل أن تشعر بالدوار؁ في اللحظة التي سمعت فيها صوت «حبيب» من خلفها:



- إنتي مجنونه!!

تلتف «هدى» لتجده قائمًا هناك على بعد خطوات قليلة،
يرقب «جميلة» المذبوحة، قبل أن تتابع «هدى» سمها بقوة:

- «حبيب» جيت في وقتك، أنا كنت جياالك، تصدق إني
كنت مخلياك للآخر؟

- إنتي بتعملي كل ده ليه؟!

- معرفش، فلوس يمكن، أو فضول علمي، على غرور
وكبرياء شخصي، أو يمكن حب للتسلط أو متعه، وبعدين ما
انتوا كده كده كنتوا ميتين، هو في حد منكما كان عايش؟!

يُظهر «حبيب» دوارًا كاذبًا على خطواته فتقول له:

- مدروخ؟!!

تقولها قبل أن يتسم «حبيب» وهو ينظر إلى الشاطئ،
لتسأل «هدى»:

- إيه.. شوفت مراتك؟!

يومئ «حبيب» رأسه بالإيجاب فتردف هي:

- عايز تروحلها؟!

يكرر «حبيب» إشارته بالإيجاب، لتطمئن وتلقي إليه السكين
متسائلة:

- طيب مستني إيه؟ روحلها بنفسك.

بثقة أقلت إليه السكين، فقد كانت تعلم باطن كل منهم، بل وكانت تعرف نقاط ضعفهم، لذا وضعت في الجزيرة لكل منهم شيئاً ليتذكر ذكراه، فهي من وضعت دراجة الطفل وشال «منال» والدة «عاصي» كما هي من وضعت الحقنة المخدرة، فقد كانت هي مديرة هذا المكان أو هذا ما كانت تظنه.

يمسك «حبيب» السكين ويضعها على وريده وهو يرتعش، قبل أن يضحك ويتوقف:

- بس أنا ماشوفتش «مي» مراتي يا دكتور، أصلي مكنتش باخد الدوا بتاعك.

قالها مشيراً إلى زوجته التي كان يجهل الجميع أنها «مي» أخت «فرح» الحنونة التي كانت تتمنى الإنجاب، إلا أنها لم تستطع أبداً الحفاظ على الأجنة داخل رحمها، حتى اضطر «حبيب» أخيراً إلى الاختيار بينها وبين طفلها في اختيار كان الأصعب له، ولكنها كانت الأهم له بينما كان الجنين هو الأهم لها، وقد كانت تلك هي التجربة الأخيرة لها قبل استئصال الرحم، لتستسلم «مي» للاكتئاب بل وتحاول الانتحار، خاصة في هذا اليوم الذي أخذت فيه حبوباً منومة قبل أن تملأ البانيو لتموت غرقاً، إلا أن «حبيب» بالفعل قد أنقذها حينها، ليضعها على السرير مبتلة، وها هي لا تزال ترتجف إلا أنها ظلت تعاتبه على قراره!

- إنتي إزاي تحاولي عملي في نفسك كده؟!!! ليه عايزه تحرميني منك وانتي أهم حاجه في حياتي؟!!

من على سريها تجيب ببرود:

- ما انت حرمتني من أهم حاجه في حياتي، حرمتني من الأمل، ومن غير الأمل مفيش حياه يا «حبيب»، أنا مت من ساعة ما قتلت ابنا وأخذت القرار لوحديك، دلوقتي حياتي دي قراري أنا..

- مش هاسمحك وهاعالجك.

حاول «حبيب» مساعدة زوجته، فقد كان طبيبًا بشريًا وبالتحديد طبيب نفسي!

- للأسف مش هاتعرف تعالجني عشان انت كمان موجوع.

- لو فشلت في علاجك كدكتور نفسي، روعي لحد غيري، بس ماتسبنيش.

خاطئًا قالها، فقد استسلمت بالفعل «مي» لطبيبة أخرى وهي «هدى»، لتضطر حينها إلى الكذب بحقيقة زوجها، حيث ادعت أنه متوفى.

- للأسف يا «حبيب» إنت دايماً بتتحرك متأخر، بلاش تتأخر تاني يا «حبيب».

- مش هاتأخر ومش هاسيبك يا «مي»، يقولها «حبيب» وهو يمسك بـ «مي» بين أحضانه، وقد بدأ الناس يغزوها من التعب، حالما رمق هو أجندتها الحمراء الموضوعه أرضًا ليشرع بالتقاطها بيده المبللة..

يعود «حبيب» مرة أخرى إلى الشاطئ عائداً من ذكراه، وليله



العازم عزمًا على تقطيع بدنه تمزيقًا، ومن حيث «هدى» تبدو
مشدوهةً:

- هو انت جوز «مي»؟! إزاي؟! دي قالتلي إنك مت.

- أومال كنتي عايزاها تقولك إن جوزها كمان طيب نفسي؟!!!
ما هي دي الكدبة اللي وصلتنا ليكي، وحكاية «مي» اللي
كتبتها أنا قاربتها، وعرفت إنها جت معاكي هنا.

مشيرًا إلى ما دونته «مي» في أجندتها الحمراء، قالها ليتابع
متهكمًا:

- رغم إن المفروض محدش كان يعرف.. صح يا دكتوراه؟!!

تنتبه «هدى» إلى ضحكة «حبيب» مذهولة شبه مصدومة!
قبل أن تشعر بقوة الدوار يزداد شيئًا فشيئًا، بينما يكمل هو
مستمتعًا:

- إيه مدروخه! معلش أصلي أنا اللي كنت بحطلك الدوا
بتاعك، وبالمناسبة شكرًا على الوصفة.

قالها مشيرًا إلى وصفة الدواء الذي كان ينوي هو استخدامه
فيما بعد، بنفس مبدأ «النفعية».

- كويس إنك مكملتيش الكوبايه كلها، كنتي هاتموتي، وده
واجب عليا.

تراجع «هدى» القهقري في توتر وذهول قبل أن تصطم
بشيء ما فتلف خلفًا، وتُصعق عندما تراها، إنها بالفعل
«فرح» تبتسم:

- معلش أصل «فرح» كمان مكنتش بتاخذ الدواء.

تظل «فرح» كما هي واقفة، قبل أن يكمل «حبيب» وهو
يمسك بهاتف «هدى» المحمول الذي كان مخبأً، فقد كانت
«فرح» هي من تتواصل مع «أشرف» ليأتي ليلاً لأخذ الجثث،
فهو من استلم جثة «سيف» الآن و«عاصي» من قبلها.

تُصعق «هدى» من هول ما تسمع، لتتساءل:

- إنتوا إزاي عملتوا كل ده؟! إنت مين؟!

- مش أنا قلتك إني دكتور نفسي يا هانم؟ أنا جيت هنا
عشان آخذ حق «مي» مراتي اللي صدقتك، وجات معاكي هنا،
عشان تخليها فار تجارب وتحرمينا منها.

تنهار «هدى» أرضاً، ليصرخ «حبيب:»

- أنا ضيعت آخر سنين عمري عليك يا «هدى»، ولما قربت
في أجندتها إنها جاتك شكيت، لغاية ما اتأكدت من «فرح».
يقولها مُتذكراً حاله وهو يقرأ في أجندة «مي» الحمراء من
جانبها، ثم يواصل:

- وانتى ما شاء الله سمعتك ألماظ، أشهر دكتوراه في مصر،
ومخلية بالك أوي بالشعره، كل اللي جم هنا معندهمش حد
يسأل عليهم، بس وقعة الشاطر بألف، والبركه بعد كده في
اختيارك الموفق لمساعدك الشريف، يقولها وهو يشير إلى
«أشرف» الذي وصل بالفعل، لتهرع «هدى» هرباً إليه فيدعوها
«حبيب» دون أن يستوقفها متذكراً لقاءها لـ «أشرف» في أحد

أيام الشهر السابق داخل هذا البار الساهر ليلاً وهو جالس أمام «أشرف» الذي جاء ليعطيه الملفات، ليتساءل «حبيب» حينها:

- دي كل الملفات يا «أشرف»؟!!!!

- أيوه يا دكتور «حبيب».

- لو في حاجة ناقصه أنا هاسلمكوا كلكوا.

يقولها مهدداً إياه بما صار يعرفه، ليكمل:

- إنت عارف إن روحك بقت في إيدي؟ وأنا برضه مش لوحدي، ومعايا اللي معاه نسخ تانيه، ولو سلمناك هاتأخذ إعدام في جلسه واحده..

- يا باشا وليه بس؟ إحنا عايزين ناكل عيش، و«هدى» كده كده كانت هاتبطل وتغدر وتسافر فالبركه بقى فيك.

يقولها ثم يشير إلى ملفات زائري تلك الجزيرة في تلك التجربة، حيث كان يحمل ستة ملفات: «عاصي» و«حاتم» و«سيف» و«جميلة» و«فرح» و«سميحة».

- وبالملفات دي بقى يا باشا إنت تقدر تعرف عنهم كل حاجة، وتكمل بقى وتسوق انت، وأنا أبقى خدامك طالما هناكل عيش..

يوافقه «حبيب» وهو يرمق الملفات قبل أن يسأل:

- كده متبقي بقى ملف «هدى».

- آه، وفي واحد كمان اسمه «حلمي عبد المهيمن» لسه ملفه

مجھزش.

- مش مهم، المهم ملف الدكتورہ «هدى».

- بس ده مش عندي يا باشا.

- خلاص يبقى ده أنا اللي هاعمله بنفسى.

يقولها وهو يفر الملفات، ليجد منها الطبي، ليتساءل:

- وإيه الملفات التانيه دي؟!

- آه، لا مؤاخذه يا باشا، دي ملفاتهم الطبيه، بس دي تلزمني

أنا.

قالها «أشرف» حينها وهو يأخذ تلك الملفات للتحاليل التي كانت تطلبها الدكتورہ «هدى» دون أن يعي أي منهم السبب.

- أنا مش هاعمل اللي في دماغك يا «أشرف».

- لآ اسمحلي يا دكتور، اللي أوله شرط آخره نور، والمصالح دي مش بتاعتي ولا أنا صاحب اللعبه، الحاجات دي وراها ناس كبار، صدقني إحنا مش قدهم، فخليك زي «هدى»، خد مصلحتك وجرب تجاريك، وسيينا ناكل عيش، نبقى كلنا حبايبك، والحي أبقى من الميت، ودول كلهم كده كده ميتين.

- «المنفعه» يعني..

علق «حبيب» حينها مستسلماً غير منتبه لوجود «عاصي» على أحد طاولات البار، مُوهماً أنه يسكر، عله جاء عن عمد بالفعل!

تصل «هدى» الآن إلى «أشرف» وقد اشماز الشاطئ من كمية قذارتهما، ليصدمها «أشرف» بدفعها أرضاً تحت قدمي «حبيب» الذي اقترب بهدوء، لتُذهل «هدى» وهي تنظر إلى «أشرف» لتسبه:

- بعثني بكام يا كلب؟!!

- ببلاش وحياتك والله يا دكتور.

- ليه؟!!

- بيزنس، عشان شغلي ما يوقفش، مش ده اللي علمتهولي؟
وبعدين الدكتور «حبيب» كتر خيره وعدني يكمل المشوار، وأنا تربيتك ببص للمنفعه، مش كده ولا إيه؟!!

تندهش «هدى» لترمق «حبيب» متسائلة، يكاد عقلها يزداد جنونه:

- وانت عملت كل ده ليه؟! عايز إيه?!!

لم يعرف «حبيب» الإجابة الصحيحة، ليقول:

- والله أنا كنت جاي في الأول عشان آخذ حق مراتي، بس الفضول ملكني، الصراحه يا دكتور «هدى» أحب أهنيكي على تجارك اللي فاتت، وعلى توقعاتك في التجربه دي كمان، كانت أغلبها صح، يمكن بس «حاتم» كان محتاج جرعه زياده عن اللي كتبتها عشان يتحرك.

قالها مشيراً إلى الجرعة الإضافية التي وضعها في شاي

«حاتم» قبل أن يقدمه له في لحظاته الأخيرة!

- خلاص خد كل أبحاثي، والأدوية كمان، دي فيها براءة اختراع بملايين.

- ما أنا أخذتهم فعلاً، هو أنا محتاج عزومه؟!!

بجنون أجابها معجزاً إياها، قال ما قال، لتسأل سؤال الفاقد العاجز:

- طيب خلاص عايز مني إيه تاني؟

- وده برضه سؤال!

يقولها «حبيب» مقترباً بسكينها:

- عايز أقتلك هنا وأتشفى فيكي.

يقولها ثم يشير بالسكين إلى «أشرف» متابعاً:

- وبعدين أسيبك لـ «أشرف» عشان يشوف شغله ويقطعك قطع غيار.

تصرخ «هدى» باكيةً:

- لا.. لا أنا مش عايزه أموت، وبعدين انت لو كنت عايز تقتلني كنت قتلتي من الأول مكنتش عملت كل ده.. صح؟!!

برود يجيبها في استمتاع مهين:

- لا غلط، كان لازم تدوقي من نفس الكاس، وتحسي بنفس وجعها، لحظة بلحظة.

- لآ، ارأمني أبوس إيديك، قوليله يا «فرأ»، قوليله، ده
انتي الملاك اللي فينا.

تقولها مستغيثة بـ «فرأ» التي تضع سماعة أذنها كعادتها
لتسمع الموسيقى وهي تجلس في هدوء، وإن ظلت ترمق كوب
شاي «هدى» الممتلئ فقط حتى النصف- والموضوع فيه
جرعات إضافية من هذا الدواء القاتل بينما نظرت «هدى» إلى
«أبيب» في خوف، جعلت تقول:

- بلاش يا «أبيب»، فكر كويس، لو بدأت مش هاتعرف
تنتهي صدقني.

مبتسمًا يتقدم «أبيب» بقوة، فينهال عليها غارزًا السكين
في أحشائها!

- أنا عمري ما صدقتك، ولا عمري ما هابقي زيك.

لأظات تلفظ «هدى» فيها أنفاسها الأخيرة، قبل أن يتركها
«أبيب» ليد «أشرف» الذي أمسك بجثتها من فورده، فيتصاعد
صوت دقات قلب «فرأ» وهي تمسك بإبريق المشروب لتملأ
كوب «هدى» الموضوع أمامها وفي لمحة تشربه بالكامل
في غفلة من «أبيب» حتى تبدأ في الهبوط شيئًا فشيئًا قبل
أن يبدأ الدواء في مفعوله، تسمع صدى صوت «مي» تناديها
لتنظر إلى ما بعد المخيم، ثم تبدأ «مي» بالركض هربًا مما
أأث بعمق الجزيرة المرهب لتركض «فرأ» حولها، لتجد
نفسها فجأة في مكان ما تجهله قبل أن تستوقفها «مي»
أخيرًا:

- كفايه جري يا «فرح».

مع تصاعد صوت دقات قلبها، تتوقف «فرح» مبتسمة، لتبدأ «مي» عتابها:

- وسختي إيدك ليه يا «فرح»؟ إنتي كنتي ملاك!

متهكمة تتحدث بطريقتها المتقطعة الطبيعية للمرة الأولى عائدة إلى طفولتها:

- مينفعش ملاك كان يعيش وسط شياطين يا «مي».

- واستفدتني إيه يا «فرح»!؟

- أول مره أقدر أعبر عن غضبي.

بصدق قالتها «فرح»، لتكمل «مي» تساؤلاتها:

- وارتحتي!؟

تدمع «فرح» مُلتمسةً:

- سامحيني.....

- مش مهم أنا اللي أسامحك يا «فرح».

قالتها مشيرة إلى خالقيهما، لتتفهم «فرح» قائلة:

- أنا عمومًا خدت الدوا بتاعهم عشان أشوفك.

- عارفه يا «فرح».

- بس المرا دي أخذت جرعه زياده عشان أجيلك وماسبكيش.

تذهل «مي» قبل أن تختفي متبخرة من هول صدمتها، بينما تزداد «فرح» بكاءً جاثية على ركبتيها، قبل أن تنظر إلى السماء في ندم، مع تسارع دقات قلبها للحظات، لتبتسم ابتسامة رضا، فيتهافت صوت دقات قلبها مُعلنًا قرب التوقف الأبدي!!

من على بعد عدة خطوات يلاحظ «حبيب» اختفاء «فرح»، فينظر إلى المشروب الخالي بالكامل مفزوعًا فيفهم ويسرع بالبحث عنها، يتفقدتها ببصره حتى يجدها مستلقية هناك فيهرع إليها ومن بعده «أشرف»، ليصل «حبيب» إليها ليجد «فرح» جاثية أرضًا على ركبتيها، فيقترب منها ويضع يده ليباشر نبضها فيجده متوقفًا قبل أن يلتفت إلى «أشرف» الذي بدوره دنا ليتأكد من فراقها للحياة مبتسمةً.

- سبحان الرزاق! الحي أبقى من الميت يا دكتور.

يقولها «أشرف» مُعلقًا بلا تأثيرٍ يحاول سرقة بدنها قبل أن يوقفه «حبيب» بقوة يتفهمها «أشرف».

- إلا «فرح» يا «أشرف»، إلا «فرح».

في استياء يوافق «أشرف».

- يووه، مش مهم، المهم اللي جاي يا دكتور، مش إحنا على

اتفاقنا برضه ولا إيه؟!

ينحني «حبيب» موافقًا قبل أن يحمل «حبيب» «فرح» ويتحرك بها إلى عمق الجزيرة، ليتبعه «أشرف»، وصولًا إلى هذا القبر الذي كان ينتظر صاحبه منذ البداية، حيث نفر كل

زواره واحدًا تلو الآخر ليغلق بابه أخيرًا ضامًا إياه إلى باطن الأرض التي تسترد حقها بعدما يسترد الخالق وديعته، فيسرع هامًا بالمغادرة قبل انقضاء الداخلية، ليترك «حبيب» أخيرًا هذا المكان البغيض مع «أشرف» الذي حمل جثة «هدى» على كاهله، ليس حبًا بل جشعًا، أو لعله انتقام لما تاجرت به في أحلامه، فلقد كانت أول من صنعت هذا الوحش الذي سيقوم بتقطيعها عما قريب، حيث توجه بها إلى غرفة سفلية باليخت مليئة بالثلج فعدت كأنها مشرحة، انبرى «أشرف» مُشمراً وهو يضع جثة «هدى» إلى جانب جثة «حاتم» مبتسمًا، ليودعها جاهلاً من لا يزال يتبعه على متن هذا اليخت، فلكل أجل كتاب وكل وعد ميعاد، فلقد حانت الساعة وجاء وقت الحساب، فلقد كانوا ثلاثة وكان هو رابعهم.

(12)

من داخل هذا الكوخ الكئيب بحكاويه كانت «سميحة» هناك جالسة على الكرسي الهزاز تقرأ آخر سطر بالمدكرات، لينبعث صوت «مي» من حولها حين كتبت له رسالتها الأخيرة:

«أكيد يا «حبيب» هاتلاقي اللي تنسيك أيامي، ويمكن تلاقى فيها قلبي اللي حبك».

دمعت «سميحة» قبل أن تلاحظ اقتراب اليخت لتغلق أجندة «مي» الحمراء لتتوقف وتخرج من الكوخ متوجهة إلى الممشى متذكرة كيف أنقذها «حبيب» من شر تلك الجزيرة بعد جلستهم على الشاطئ في الليلة الأولى حين ظهر الاندهاش على «سميحة» التي سألت حينها:

- يعني هي مراتك ما انتحرتش؟!!!

- لاء.

أجابها «حبيب» بصدق حينها ليصفن سارحًا خاطره:

- طيب، كمل وقفت ليه؟

قالتها «سميحة» تستجلب حضوره تحايلًا، ليقول حينها:

- مش عارف طبعي اللي بيحصل في الساعات القليله دي

ولاً لاء!

- حقيقي.. أحداث كتيره في يوم واحد!

بهروب قالتها «سميحة» ليحدد «حبيب» موضحًا:

- أنا مش بتكلم على الأحداث، أنا بتكلم علينا.

يقولها وهو يمسك يدها فجأة، ليتابع:

- «سميحة» هو انتي تقدري تثقي فيا؟

ترتعش يدها داخل كف يده لتقول صدقًا:

- ما هو ده سبب تعاستي، الثقة في الناس الغلط، بس

معرفش ليه في حاجه مخلياني مصدقك وحاسه جنبك بالأمان،

رغم إني معرفكش غير من ساعات!

- لاء، أعتقد إننا نعرف بعض من سنين، صدقيني مش

هاتندمي.

بحب غريب قالها، لتستجيب هي له:

- حاضر، طيب وبقية قصتك مش هانكملها؟

- هاتقربها.

تتساءل «سميحة» حيرى:

- هاقراها فين؟!

- هاتعرفني قبل الشروق، هتلاقيني مستنيكي هنا.

قالها مشيرًا إلى مكان توقف اليخت.

- ليه؟

- إنتي لازم تهربي.

- أهرب من إيه؟!

- مش قلتي إنك هاتثقي فيا؟!!

ختم حديثه حينها لتصدقه وينقذها من شر تلك الجزيرة، في فجر هذا اليوم عندما انتظرها عند اليخت عندما جاء «أشرف» ليأخذ جثة «عاصي» ليودع «حبيب» حينها «سميحة» من عند اليخت لتنتقل إليه بمساعدة «أشرف» بينما من بعيد كان «حاتم» قد كشفهم، فكيف يأتي مركب إلى المكان دون أن يشم رائحة وقوده! ليحاول حينها الصراخ ليستوقف اليخت قبل أن يستوقفه «حلمي مهران» طارحاً إياه أرضاً، لسمع «حبيب» حينها صوت الحركة ليحاول إلقاء نظرة على المكان دون أن يجدهما، فيشير إلى «أشرف» ليسرع.

تعود «سميحة» من ذاكرتها وهي تنتظر «حبيب» على اللسان الخشبي، ليرمقها «حبيب» الآن في حب ليتذكر شكه الذي ظل في خياله منذ رمق «سميحة» على الجزيرة، فلقد كان يشك أنها هي من أخذت قلب «مي» زوجته، فقد كان يشعر ناحيتها بشيء مختلف شديد الألفة، لذا عاد إلى حديثه لـ «أشرف» حينها عبر الهاتف:

- يعني هي «سميحة» اللي أخذت قلب مراتي ولأ لا يا «أشرف»؟!!

- وهايفرق معاك في إيه يا دكتور «حبيب»؟ وبعدين هو أنا لو قتلتك إنها هي هاتصدقني؟

- لو هي هاصدقك، بس يمكن لو قتلتي مش هي... مش هاصدقك!!



كانت تلك هي إجابة «حبيب» فقد أراد تصديق ما يشعر به قلبه، أو لعله حاول تصديق كذبة ما، إنه فقط أمل كان كافيًا لأن يستكمل هو الحياة، وقد كانت تلك الفكرة مقربة إلى قلب «حلمي مهران» هو الزخر الذي تعاطف مع «حبيب» مؤبدًا تلك الحكاية، فقد كان عمه ضحية قلب منقول هو الآخر من سنوات عديدة!

أخيرًا، وبعد طول الشهاد، انبعث الفجر مُوشكًا بإدخال نور صباح يومٍ جديد على عاتقه الكثير والكثير من الأعباء كي يزيل تراكم أفعال هذا الليل الرعديد الجبان، وقد وصل «حبيب» باليخت إلى هذا الممر الخشبي ليصفه خلف الدراجة المائية الصغيرة ثم يترجل، بينما تقترب «سميحة» هي الأخرى، ممسكة بمذكراته، ليتلاقى كلاهما، فكان أن قالت:

- أنا قرئت بقية حكايتك.

- وشوفتي إيه؟

- شوفت اللي خلاني أستناك.

- هاتقدري تسامحيني؟!!

- مش عارفه، بس يمكن أقدر أعرف لو فهمت، إشمعني أنقذتني أنا!!!

- يمكن عشان فيكي شبه منها.

- أنا مشوفتهاش، بس قرئت حكايتها، هي كانت محظوظه بيك أوي.



قالتها قبل أن تسكت خائفة للحظات، ثم تتابع:

- بس أنا مش هي يا «حبيب» ليه خاطرت بكل حاجة عشاني؟

- يمكن عشان كله اتخلي عنك، زي ما أنا اتخلت عنها، أو يمكن نفسي ألاقي سبب أحس بيه إني لسه بني آدم ماعلهوش الدم، أو يمكن عشان ألاقي حاجة تحسني بالأمل.. ممكن؟
إذ تبتسم هي مستجيبة:

- ممكن..

يقرب منها «حبيب» ملامسًا أعلى يسار صدرها، عند منطقة القلب التي بها غرز خياطة تدل على عملية نقل القلب، ويقول:

- أو يمكن في حاجة أنا وانتي مانعرفهاش قربتنا فجأة من بعض!

يبتسمان بصوتٍ ضحكٍ لطيفٍ سويًا، ليتوجها سويًا إلى اليخت الذي أخذ منه «أشرف» الجثتين ليسلم إياه إلى «حبيب» الممسك الآن بيد «سميحة» لتصعد، بينما يقوم باتصال بـ «أشرف» الذي كان عند الكوخ فابتسم عند رؤية رقم «حبيب» الذي لا يزال عند مرمى بصره:

- استناه في الكوخ، هايجيلك.

قالها «حبيب» ليندهش «أشرف» متسائلًا وهو لا يزال يرمق «حبيب» من على اليخت على بعد عشرات الأمتار ليشير له

بيده وهو يتساءل:

- هو مين؟

- هاتعرف، هاتعرف يا «أشرف».

يقولها «حبيب» وهو يغلق الهاتف قبل أن يبتسم إلى صديقه باليخت، فلقد كانوا ثلاثة على المركب ومن بينهم رابع داخل غضب أحدهم الذي ترك اليخت للتو عائماً متجهًا إلى غايته في غضب، بينما احتضن «حبيب» «سميحة» ليقود هاربًا هذا اليخت إلى مستقبل جديد، بعدما انتقم لماضيه، لترك باقي القصة في يدي عادل ذي بأس شديد.

حيث كان «أشرف» الآن قد عاد للكشك لم يفهم اتصال «حبيب»، ليبدأ في رص الجثث في غرفة ما في انتظار تقطيعها لا يعرف ما ينتظره، فلقد كان من على بعد خطوات قليلة عن الشاطئ صوت مخيف حيث انبعث هو خارجًا من الماء مرتديًا غطاءً للرأس.

كان بالفعل «حلمي مهران» هو من خرج من الماء ولكن بوجه غريب، إنه وجه «ابن آوى» تلك الشخصية الدفينة التي خرجت من فج عميق وهو يتحرك ببطء ليتوقف عند باب الكوخ والفجر لم يستبن نور إشراق الصباح بعد، ليرمقه الآن للتو «أشرف» متوترًا، فلقد كان «ابن آوى» معروفًا في الشارع المصري، بطريقة قتله المختلفة التي اقتبسها من «أنوبس»، ليرمق «أشرف» للتو عباءة الرجل التي يرفرفها الهواء، ليجثو أرضًا يائسًا من الهرب، لينهي «ابن آوى» عدله في تلك البقعة التي

أرسل موقعها «حلمي مهران» إلى «هشام» الذي وصل الآن على متن يخت الداخلية ليرجل منه مسرعاً على الممشى والرجال خلفه مسرعون وصولاً إلى الكوخ...!!

وحال بلوغه الكوخ فتح الباب فألقى وسطه «أشرف» معلقاً مشنوقاً بطريقة «ابن آوى» المعهودة، بينما تلك الريشة موضوعة أرضاً، فولج «هشام» عمقه أكثر، فإذا بالبحث المتراكمة عدا جثة «عاصي» التي كانت قد بيعت بالفعل، فيقوم باتصال أخير:

- إنت فين يا «حلمي»؟

يجيبه «حلمي مهران» مبتسماً من على الجزيرة المشؤومة التي عاد إليها ليجلس على الشاطئ بجانب الدراجة المائية التي انتقل بها:

- أنا زي ما أنا، في أجازة يا صاحبي.

يقولها ويغلق الهاتف بينما يخرج من جيبه تلك الحبوب التي أخذها من جيب «هدى» ليبتسم ويبلع واحدة منها؛ التي قامت بمفعول المورفين المُسكن، قبل أن تظهر كاميرا مراقبة على الجزيرة لا تزال ترصد فعّاله بعناية، ولا سيّما صنيعه الأخير هذا، ليرمقه «المراقب» الحقيقي لكل تلك التجربة من خلف شاشات كثيرة موضوعة بمكتبه تراقب الجزيرة من مكان ما.

من أمام مكتب «آدم» -نهارًا- يجلس «حبيب»، بينما ظل الرجل يقرأ في ملف موضوع أمامه، حتى فرغ منه ووضعه



جانبًا.

- للأسف تلك النتائج غير مرضية للشركة.

- يعني إيه، يا «آدم»، مش هاخذ حاجه، ده أنا قتلت!!!

- نعم فعلت ولكن لسبب سامي، إنها النفعية يا صديقي العزيز.

- وهي فين المنفعة دي؟!!

يبتسم «آدم» وهو يقترب بجسده إلى المكتب.

- لا تزال الشركة ترى فيك الكثير من الطاقة الإيجابية فلا تهدرها.

- يعني إيه؟!!

تساءل «حبيب» الذي جاء في محاولة لكسب بعض المال، قبل أن يخرج «آدم» من مكتبه أمبولاً زجاجياً مكتوباً عليه رقم (9) ، ليظل «حبيب» يرمقها، يقترب شيئاً فشيئاً في ترقب قبل أن يمسك بها أخيراً.

ليبدأ «حبيب» منذ تلك اللحظة المتاجرة بنتائج «هدى» ليصبح هذا الدكتور الناجح صاحب الشهرة الواسعة بما يقدمه من نصائح وأدوية علاجية، حتى أنه اشترى عيادتها ليكمل عمله منها، ولكن كان دومًا هناك هذا المريض الساخط على علاجه:

- يا دكتور.. يا دكتور...

قالها هذا المريض الثائر للتو من داخل عيادة «حبيب» الذي يعود من شروده، ليعتذر للرجل الذي أكمل:

- لآ، ماتأخذنيش يا دكتور، إنت بقالك شهر مسمع في البلد، والناس ملهاش كلام غيرك، ونجاحاتك معاهم، وأدويتك اللي مابتخبش، والدكتور «ماهر» لما بعثني لحضرتك، قاللي إني هاتحسن كثير، بس معلىش أنا مش لاقى أي تحسن لحالتي، حاسس إن نفسيتي بقت زي الزيت، ده أنا يا راجل بفكر أعمل في نفسي حاجه من الاكتئاب والوحدة.

يظل «حبيب» شاردًا يسمع صوت «هدى» في خياله حين قالت:

«لو بدأت مش هاتعرف تنتهي صدقني»

يجيب إياها في خياله، يكاد يُسمع نفسه صوته:

«أنا عمري ما صدقتك، ولا عمري ما هابقي زيك».

يلاحظ المريض شرود «حبيب» فيزداد استياؤه.

- يا دكتور... يا دكتور... حرام عليك، هاتفضل سايبني وسارح في إيه بس!!!

- هاه، معلىش آسف، أنا بس كنت سرحان في العلاج.

يقولها «حبيب» غير منتبه إلى تلك الكاميرا التي تصور مكتبه ويراقبها «المراقب» من خلف شاشاته.

- وهو فين العلاج ده؟! أنا مابتحسنش..

- هو مش حضرتك مستوحد؟!!

- أومال أنا بقول إيه من الصبح؟!!

- خلاص علاجك موجود عندي، هاتتواصل مع المساعد بتاعي وهو هايرتب معاك العلاج.

- اللي هو إيه يعني؟

- جلسة علاج جماعي في منطقة معزولة عن البشر لمدة ثلاث أيام..

تبتعد الصورة الآن شيئًا فشيئًا ليظهر «حبيب» من داخل شاشات المراقب الذي ابتسم للتو لوقوع «حبيب» في الفخ حال «هدى» من قبله، ليظهر انعكاسه في الشاشات، فيبتسم إلى نفسه محبًا فلقد كان الدكتور «ماهر» الجراح المشهور هو هذا المراقب الذي لطالما خطط لتلك المنظومة للاستفادة من تجارة الأعضاء التي هي أصل مبدأ «النفعية» الذي لطالما آمن به، فيقوم الآن باتصال بمساعد «حبيب» الجديد عبر الهاتف قائلاً:

- أيوه يا غالي.. كده التجربه الجديده جاهزه، مش عايز غلطة ولازم «حبيب» يفهم زي اللي قبله إنه هو اللي سايق، عشان نفضل إحنا من ورا شغالين.. مفهوم؟!!

يغلق الدكتور «ماهر» الهاتف ثم يقف، وعلى مكتبه تراصت بعض الملفات الطبية لـ «عاصي» الذي أخذ للتو قلبه هو الآخر لينقذ أقرب الأقربين له، يرتدي «ماهر» للتو البالطو الأبيض، ثم يغادر من هذا الباب ليخرج من غرفة المراقبة التي كانت



تراقب الجزيرة كلها، ليتوجه من هذا الباب إلى مستشفى
الصغير التي يقوم بها بكل تلك العمليات الممنوعة.

يدخل «ماهر» للتو إلى تلك الغرفة الشبيهة بالعناية المركزة،
ليتجه إلى هذه المريضة المستلقية على السرير، إنها والدة
«عاصي» «منال»، فتبتسم فور اقترابه.

- حمد لله على سلامه يا هانم.

- الله يسلمك يا دكتور، والله انت ما أنقذت حياتي أنا بس،
إنت أنقذت حياة ثلاث الاف عيله كانوا هايتشردوا من بعدي.

كانت تلك بالفعل حكاية والدة «عاصي» ومسؤولياتها التي
قصها علينا الابن.

- أولاً حضرتك ست صالحه وأولى بالحياه من ناس كثير،
وثانياً أنا معملتش غير شغلي.

- طب هو مين يا دكتور اللي اتبرعلي؟!

- صدقيني مش مهم مين، اعتبريه زي ابنك.

تدمع «منال» بعطفٍ غامرٍ:

- يعني أنا مظلمتوش يا دكتور؟!

- صدقيني لأ، اللي اتبرعلك كان بيردك حقا.

- حق إيه ده يا دكتور اللي يخلي حد يفضل حد مكانه؟!!!

يجيب «ماهر» موضحاً:

- ما هو أنا فهمتك يا فندم، إنه كان كده كده ميت.

- طب هو يا دكتور الشغل ده حلال؟

- أكيد طبعا، ما الحي أبقى من الميت.

- يعني قانوني؟....

- هو يمشي بس بقانون المنفعة....!!

قالها «ماهر» مشيراً إلى قانون «النفعية» الذي رغم صحته راح ضحيته الكثير ليفقد معناه، بينما ظل هذا قانون «ماهر» الذي حاول إقناع «منال» به التي لو عرفت منقذها لماتت من فورها، لتركها «ماهر» ليتابع بقية مرضاه لتظهر بضعة أسرة بجانبها يستلقي عليها سبعة مرضى، لبيتسم «ماهر» فخوراً بعمله جاهلاً من بصره للتو، فلقد كانت تلك هي رؤيا «حلمي مهران» الآن من على متن الجزيرة بعدما ابتلع هذا القرص الذي فتح له باباً جديداً ظل يرمقه الآن متوعداً وهو يرمق تلك الكاميرا التي أبصرها على الجزيرة، ففتحت له عالم «ماهر» الذي انكشف من أمامه للتو، ليتفهم «حلمي مهران» حقيقة هذا الدكتور الجراح الذي صار عدواً جديداً لـ «ابن آوى» الكائن الآن بين ضلوع «حلمي مهران» على متن تلك الجزيرة التي زادت مداركه اتساعاً، ليتوعدده مبتسماً، وهو يرمق الآن كلبه على الجزيرة يعوي في خياله متلهفاً لإيقاظ «ابن آوى» الذي بات الآن مألوفاً لـ «حلمي مهران» بل ومحبوباً له، فلقد تلاقى هويتها على نفس الأهداف، الأمر الذي احتاج منه المكوث أكثر على تلك الجزيرة التي صارت سكناً له، ليستوعب فيها نفسه أكثر فأكثر، وتزداد قوة «ابن آوى»

وبأسه شيئًا فشيئًا داخل أسوار تلك الجزيرة، التي تلاحم فيها
«حلمي مهران» مع عالمه الخاص، لتكشف له في كل ساعة
سرًا جديدًا، كـ «الوحي» المستمر دون انقطاع، لينضج وتتبلور
شخصيته في تطور جديد فور رجوعه إلى عالمه وتلك قضية
جديدة يتوجب عليك أن تعرفها، ولكن بشرط وحيد.

«بس المهم تفهمني»



«إلى الشر الكامن في الصلاح، أهدي إليك شري وصلاحى»

«بس المهم تفهمنى»

حلمى مهران

أحمد عثمان

www.AhmedOsman.com

Ask@AhmedOsman.com

